

كلمة العدد

الذكرى العشرون لمجلة الإتحاف (2005/1985)

بقلم : عبد المجيد البراهمي

- 1- نحتفي بمجلة الإتحاف لأننا نحتفي بالإبداع ونحتفي بالإبداع لأننا نحتفي بالحياة في تطلعها إلى الغد، ولنحتف التفكير الإبداعي على مزيد البذل والعطاء.
 - 2- لأننا وقد مضى على انبعاث مجلة الإتحاف-على يد مؤسسها الأستاذ عبد القادر الهادي-عشرون عاما هكذا بلغت سنّ الشباب وعاشت بين قرنين يبدو وأنهما مختلفين إلى حدّ التناقض، وواكبت أهمّ ما شهد الوطن العربي والعالم من أحداث جسام، فعلى الرغم من أنها مجلة جهويّة تصدر عن اللّجنة الثقافيّة الجهويّة بслиانة فإنّها لم تكن غارقة في المحليات بل تجاوز اهتمامها حدود الوطن وأصبح لها قراء ومراسلون من العالم العربي ومن أوروبا.
- سنحتفل أيام 19 و 20 جويليّة 2005 بالذكرى العشرين لانبعائها وإنّها لمناسبة سنقف عندها وقفة تأمل سيكون لها عميق الأثر في مستقبل هذه المجلة لأننا بدأنا نواجه تحديات عاديّة ماديّة على غاية من التعقيد. ألسنا في زمن العولمة؟! فنحن جزء من هذا العالم، ومن لا يتقدّم يتراجع هذا إن لم نقل سيظلّ جاثما حيث هو

وقد تحمد مواقفه ثم لا يلبث أن تنخسف به الأرض، ولا نخفي عنكم حضرات القراء أننا أعددنا العدة لذلك حيث شرعنا في توسيع هيئة تحرير الإتحاف لتشمل أعلاماً بارزة من جندوبة والكاف وباجة.

3- مجلة الإتحاف كانت وستظل منبرا ثقافيا متسع الأكناف مترامي الأطراف تأخذ بأيدي الناشئين والأقلام الواعدة من الشعراء والكتاب والباحثين وتُمهّد لهم الطريق شيئا فشيئا حتى يبلغوا القمة الأدبية، هكذا فعلت مع العديد من الشبان الذين يطول ذكر أسمائهم، دون أن ننسى قطاف الإتحاف الموجهة للأطفال. مثلما سهرت الإتحاف على تنظيم ملتقى أحياء الإتحاف السنوي وأحدثت ملتقيات ومنابر حوار مختلفة فهي مؤمنة أشد الإيمان برسالتها الثقافية والتربوية لينهل من معينها تلاميذ الباكالوريا من خلال ما ينشر من بحوث ودراسات أدبية وفلسفية، كما لم يغب الاهتمام الشأن الثقافي الجهوي والوطني فهي تقوم بتغطية شاملة لمختلف الملتقيات والمهرجانات والندوات التي تلتئم في مختلف ولايات الجمهورية.

4- هذه هي الإتحاف وما قلناه ليس سوى غيض من فيض وستبقى تتحف قراءها وعند حسن ظنّ أحبائها الكثر وهي التي انبعثت منهم وتحيا بهم ومن أجلهم.

بمناسبة شهر التراث : حديث عن قعفرور

بقلم : مبروك صالح المتاعي

بصفتي كائنا ولأني مولود بقعفرور فإن إسمها يشغلني كثيرا فمنذ سنوات وأنا أفكر في هذا الإسم ماذا يعني في اللغة وفي التاريخ وما فتئت أسأل بعد الكبار في مناسبات عديدة عن أحوال تلك المنطقة.

مؤسسة الإذاعة والتلفزة التونسية لها الشكر والتقدير على ما تبذل من جهود فائقة في برامجها المختلفة التي منها ما يعني بالتراث الوطني وبشؤون البيئة ومن أبرز برامجها "تونس اليوم" الذي يجري في شرايين البلاد فينقب في جهاتها ويغوص في امتاطقها ويبحث في كل صغيرة وكبيرة في كل شبر من أرض تونس الخضراء أعزها الله.

وتحية تقدير إلى إطاراتها وأعوامها وجنود الخفاء بها على ما يقدمون لنا من ثمرات جاهزة هنيئة مريئة من خلال مرآة العجب، الشاشة الصغيرة. وشهادة تقدير إلى ذلك المناضل الإعلامي الأستاذ عفيف الفريقي صاحب التضحيات الجسام في سبيل خدمة البلاد والعباد بزد إعلامي وتثقيفي.

بعد أن شاهدت حلقة "تونس اليوم" عن قعفرور يسعدني أن أقدم بعض الآراء عن تلك المنطقة وعن تاريخها.

وفي ذلك المكان في آخر القرن التاسع عشر لم تكن مساكن، كان جزء من الريف الواسع حيث يسكن آهاليه في بيوت متفرقة قليلة، إذ كانت

غالبية الناس رحلا يتنقلون بأنعامهم حسب حاجة عيشهم لأنفسهم ولحيواناتها مزودين بخيامهم.

كانت تلك المنطقة الصغيرة تسمى "الكاف الأزرق" أي الكهف الأزرق وهو ما حفره سيل وادي سليانة على مر السنين بين ربوة صخرية وسهل حتى ظهر جانب مرتفع من الحجارة ذو لون أزرق.

في بداية القرن العشرين مدت شركة السكك الحديدية الفرنسية القادمة من الجزائر الخط الحديدي رقم 6 الرابط بين تونس العاصمة والقلعة الجرداء (التي هُذِبَ بالقلعة الحصنة في بداية الإستقلال) والناس يسمونها "كبانية" تحريفا لإسمها بالفرنسية compagnie ولأنها بدأت في الجزائر بخط عتابة - قلعة فإنها تحمل إسمه، والمواطنون الأميون أصبحوا يسمونها "بن قالة" كأنها تعني "ولد قالة".

كانت تلك الشركة مؤسسة عمرانية للسكك الحديدية لأنها تمد الخط وتبني مساكن الأعوان والمحطات ومكاتب الإدارة ومخازن السلع.

واختارت المؤسسة تلك المنطقة الصغيرة "الكاف الأزرق" لتكون مركز هاما لأنها تقع في منتصف المسافة بين تونس والقلعة الجرداء موقعها مناسب بئيا إذ يوجد بسهل بين "جبل الشهيد" وبحرى وادي سليانة. فبنت مستودعا للإصلاح والصيانة وشيدت حي الحديديين للسكن ومبيتا للأعوان المتنقلين.

كان من الممكن اختيار إسم لهذه البلدة الجديدة من بين أربعة أسماء موجودة بها: "الكاف الأزرق" أو "سيدي بوعرقوب" وهو ولي صالح معروف ومقامه قريب جدا من المحطة حيث توجد مقبرة أو إسم "

الشهيد" الذي يحمل إسمه الجبل او " دجمة" وهو إسم مزرعة شاسعة (هنشير دجمة) لكن المؤسسة و السلطة قد إختارتا إسم قعفرور.

وكانت تلك المؤسسة تختار للمحطات أسماء شهيرة و إن إبتعدت قليلا عن مراكز المحطات على سبيل المثال ألها إختارت إسم " آبه قصور" لأن المحطة وجدت بين جبل " آبه" ومرتفعات " القصور" و في عهد الإستقلال عوّض الإسم بالدهماني وهو إسم ولي صالح معروف يوجد مقامه وسط المدينة حيث يوجد مسجد جامع.

فاختيار إسم قعفرور هو إسم منطقة تسمى قعفرور توجد جنوب البلدة الجديدة وتبعد عنها حوالي 15 كيلومترا و صار الناس يسمونها بعد تبني إسمها بقعفرور القبلي (أي قعفرور الجنوبي).

هناك من أبناء قعفرور من حاول البحث في إسمها وتاريخها حسب تصورات أي دون إستناد إلى مراجع، له التقدير والشكر على إجهاده إذ قال إن إسم قعفرور محرّف عن (Gare des fours) أي محطة الأفران وذلك احتمال مستبعد للأسباب التالية :

(1) لم توجد قرب المحطة أفران بل كانت أكداسا من فواضل الفحم الحجري (Coke) الذي كان يشغل القاطرات الحديدية البخارية.

(2) إسم قعفرور هو إسم قدم سابق لوجود السكك الحديدية والمحطة الجديدة بالمنطقة.

(3) لا يمكن أن يكون إسم قعفرور من اللاتينية لأن به حرفين من اللغة العربية : القاف (بنطق البدو) والعين. و رأيت من ناحيتي ربما كان مركبا من قطاع - فور، لأن العرب كانوا

كثيرا ما يسمون الأماكن بوجود الماء فرما وجد بتلك المنطقة في الماضي البعيد نبع ماء له قاع في باطن الأرض و الماء يفور منه فورا.

هناك احتمال آخر.... يوجد في اللهجة العامية المتداولة منذ القدم بالشمال الغربي لفظة يرددها الناس إذ يقولون تقغفور... يتقغفر... متقغفور... معناها : في جلسة خاصة ذات آبهة. وبحشت عنها في المعاجم فوجدتها بالزاي وليس بالراء "تقغفر"

وما أن شيدت المحطة و بنيت المكاتب و المساكن والمخازن حتى تطورت الحركة فازدهرت الحياة و أصبحت قغفور المدينة استقطبت الوافدين من شتى المناطق للشغل بالشركة في محطتها او بمستودعها أو بمصالح السكك والأشغال (Voies et travaux) او بمخازن السلع .
ففي عهد الحماية كانت قغفور مقر خلافة و المسؤول بها يسمى خليفة (مثل معتمد في عهدنا) <http://Archivebeta.Sakhrir.co>

و كان المعمرون أصحاب الضيعات الفلاحية يجتمعون بها بإشراف مسؤول عليهم يسمى رئيس المعمرين (Président de colons) و كانت بها قاعة سينما في حي الحديديين و جمعية كرة قدم و فريق للكرة الحديدية وكم عانت قغفور إبان الحرب العالمية الثانية حيث إلتقى الجيشان قوة التحالف من جهة الغرب وقوة المحور من جهة الشرق .

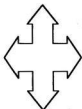
و إبان الحركة الوطنية للكفاح التحريري عن إندلاع الثورة المباركة كانت لقغفور مكانة سامية في صدارة الجهاد والتضحية في سبيل حرية البلاد إذ كان لها مناضلون ومقاومون معروفون وطنيا نذكر في مقدمتهم المناضل الكبير الحبيب الموهي رحمه الله .

و يوم التغيير هبت قعفور بشييهها و شبابها بكبارها و صغارها تبارك الحدث و تنادي باسم تونس و تهتف باسم منقذها قائد التغيير.

المطلوب والواجب والأكيد أن يلتفت الباحثون والدارسون من أساتذة جامعيين للتنقيب في تاريخ قعفور لأن بها آثار تستحق الحفريات وموقعها مرت به كل الحضارات لأنه كان يمثل حلقة وصل بين دقة وجامعة الأثريتين و لا بدّ للبحوث أن تأتي بنتائج إيجابية حول تلك المعالم والإعلام ربما يتوصل الدارسون إلى إكتشاف شخصية ذلك الشهيد الذي يوجد ضريحه بسفح جبل الشهيد و ربما توسعوا في معرفة مناقب وكرامات سيدي بوعرقوب ونسبته و كذلك قد يتوصلون إلى كنه " دجمة" التي تحمل اسمها مزرعة كبيرة و شهيرة.

و ثمة بالمنطقة منجمان شهران الأول بمنطقة سيدي عياد وقد أغلق منذ زمان والثاني بمنطقة الأحوات. وقد أغلق حديثا فلا بأس أن يدور الحديث حولهما لمعرفة تاريخهما وظروف توقفهما.

وفي إنتظار لفتات كريمة من أولى التجارب والخبرات من أساتذة جامعيين باحثين و دارسين لينبروا لنا السبيل، سبيل المعرفة من حيث التراث ونحن في شهر التراث، تبقى الخلاصة فيما جاء في قول الفاروق من اجتهد وأصاب فله أجران ومن إجتهد و لم يصب فله أجر.



عوالم «دينو بوزاتي» السردية

بقلم : كوثر خليل

يعبر الأدب عن المشاعر والمواقف، لكنّه يعبر أيضا عن صيورته هو، وقوانينه الداخلية التي لا تشبه أي فن من الفنون ودينو بوزاتي (1906-1972) يعتبر مؤسسا في عالم القصة القصيرة لا فقط انطلاقا من طرحه لمواضيع ضاربة في الجذّة وبعيدة عن الروح الكلاسيكية التي قولبت الذائقة في جملة من الصور والتعابير ولكن في طرائق انشاء القصة القصيرة هاته التي مثلت جنسا جديدا مثل اختصارا للرواية في مقاييسها المادية لكنه أبدع خصوصياته التقنية المبنية أساسا على الوحدة (المكان، الزمان، الشخصيات، الموضوع) وعلى حسن اختيار النهاية التي تمثل مفاجأة يتبعها تأثيرا شمولي يأخذ بالقصة في كليتها.

تمثل مجموعة "الجنرال المجهول" نقدا للذات وللمجتمع ومحاوله لقراءة تشريحية في خصائصهما لكنها أيضا ثورة على القوالب الأدبية وابتداع لقوالب جديدة في قصص لا تكون فيها الأهمية للموضوع بل موضوعها هو البحث الأدبي.

الجانب الاجتماعي :

* الفراشة :

يعمد بوزاتي دائما إلى تسليط الخيال على الوضعية المرئية فيخرجها من دلالة الواقع إلى دلالة الفكرة والأنموذج، فالفاضل سميت في أقصوصة الفراشة وكيل الوزارة الملقب بالجلاد الكبير يتحول عند مواجهة "الفرسان الضالين" هذه الفئة الثورية المصنفة خارق القانون إلى خفاش بمحرد رغبته في ذلك وقدرته على نوع من التركيز يكفل له التبادل مع أي كائن "إنه لم يعد رجلا ولا وكيل وزارة. إنه لم يعد سوى خفاش لكنه ناج" وتكرّر الوضعية حتى يتحول إلى فراشة محاولا دخول مكتبه في الوزارة التي صار يشغله الفاضل فرساميرا زميله في الحزب ولكن

فيما يخطط هو لتحويل فوساميرا إلى فراشة وسحقه بفضل قدرته العجيبة على التركيز تمتد يد ساميرا أسرع من أفكاره إذ "ضرب الفراشة بالمسطرة ضربة قوية (الفاضل سميت) فجعلها تسقط إلى الأسفل سريعا، ميتة فوق الموكيت الرمادي من غير أن تطلق آهة"

إنه ضرب للتيارات المحافظة من جهة أنها تستفيد من بقاء الأوضاع على حالها ومن جهة قدرتها على التأقلم مع كل وضع دون احتساب للمبادئ أو القناعات التي لا تعدو أن تكون ملابس داخلية تغيرها كلما عن لها ذلك.

*** الاستيلاء:**

يوظف بوزاني البعد التحريدي (انفصام الذات) لبيان أن أحقية الفرد في المجتمع نابعة من الشباب والقدرة على النبوغ والتميز وأن من تقدم في السن محكوم عليه بالرفض والإبعاد "هنا في المكتب خلف الطاولة، جلست ولكن لم أكن شابا... كان كل شيء على العكس من ذلك. عمري إنه غريب عني تماما. إنه كرهه لقد ابتسم لي (الوجه الآخر) "ماذا أستطيع...؟" إلها رجلي المادية لا تبقي ولا تذر...

*** وإذا ؟**

هل يجب على الإنسان أن يعرف نفسه، وماذا يريد ؟ هل من الضروري أن يواجه نفسه في كل مرحلة مهما كانت المواجهة مؤلمة وقاسية ؟ ماذا لو استطاع النجاح في كل شيء.. ولكن أليس للنجاح ضريبة ندفعها من وقتنا، من صحتنا، من رغباتنا الأخرى المشروعة أيضا ؟ ألا يستطيع أن يكون النجاح هربا من رغباتنا أو مواجهة نقصنا في بعض الحالات هو السبب الكامن وراء التشبث المحموم بالنجاح وكأنه تعويض عن كل هذا ؟ أليس النجاح محاولة لإرضاء الآخرين والظهور. بمظهر ينتزع الإعجاب وعللونا زهوا وغرورا في الوقت الذي نحتقر فيه رغباتنا الحقيقية وأحلامنا البسيطة ؟ بطل القصة هو "الدكتاتور" هو الأقوى، هو الأذكى، هو الأفضل هو الأدق، هو الأكثر فطنة وقدرة على الانقاع

وتجاوز كل التحديات للوصول إلى هدف لا يعلمه حتى هو فهدفه الحقيقي هو الهروب الآن وهو في أعلى قمة من قمم مجده يصطدم بوجود فتاة شابة كل ما فيها حيوي وحقيقي ينظر شبابها إلى وقاره بعين اللامبالاة الكاسرة وكأنها لا تبالي بكل الألقاب التي حازها، فقط الشباب هو القلب والتاج الحقيقي.

* الميت خطأ :

المجتمع ومن ورائه السوق هو الذي يتحكم في حياة الفنان ويضع حدا لها متى شاء بل إن التمتعشين من موت الفنانين هم الذي يزدهرون في تلك الأوقات لحصاد أكثر ما يمكن من الأموال الناجمة عن ارتفاع أسعار الإنتاج الفني للمتوفي وكأن أفراد المجتمع يشعرون حياله بشيء من الذنب بسبب التقصير وربما إقتنوا آثاره للتباهي فقط ولكن المأساة في هذا الموت الاضطرابي وشعور الفنان بأن موته لن يغير شيئا فكل شيء مستمر، حتى زوجته التي تساكنته اقتنعت بموته الروحي والمادي واتخذت عشيقا (صديقه الأوفى) فيما هو لا يزال حيا يرزق ولهذا اختار موته على الحياة طالما لم يصدق أحد عودته من عالم الجمود والعدم "سحب الغطاء فوقه ببطء من غير أن يرتعش. وعندما لم يبق سوى فتحة صغيرة أصغى بعض الثواني، فلربما ثمة شخص يناديه ولكن لم يناده أحد حينئذ ترك الغطاء ينغلق تماما".

* الجنرال المجهول:

يعرض بوزاتي إلى وصف جنّة الجنرال بطريقتين، الجنّة كما يراها مهندسو التنقيب والجنّة كما يراها الكاتب ففي حين لا يرى فيها المهندسون سوى شيء مادي تبحر في ملاقة الهواء وصار غبارا، يرى منها الكاتب ماضي المجد الذي تحول إلى لاشيء، وقدر الموت الذي ينفي الفوارق ويساوي بين الناس جميعا بل مواصلة الحياة لسيرها في لا مبالاة بالأموات فالحياة لا تتوقف لموت شخص حتى وإن كان جنرالا "دفع أحد العمال الرمل بقدمه كي لا يردم الحفرة فيغطي هذا

البائس على الأقل. ثم بعد أن جمع أدواته قفز مع الآخرين إلى سيارة الجيب التي انطلقت سريعا وأشعل لفاقة"

الجانب الذاتي :

* تيك تاك :

يهتم بوزاتي بالظواهر النفسية الغريبة وتجد هوى عنده فيحاول تفسيرها من منطلقه ومعايشتها إن استطاع فهذه ظاهرة "البندول" أو "النفض المشؤوم" التي يتعرض لها بعض الأشخاص وتكون بمثابة الحدس لوقوع أنباء هامة هي في أغلب الأحيان سيئة... تجعله يتساءل هل أن متبعا خارجي أم داخلي وهل هي مشتركة بين كل الناس أم أنها وقف على أفراد دون آخرين لكن أسلوبه يجعل الظاهرة أعم وأشمل إنه خوف الإنسان الغربي من المجهول وتعلته بأي خيط ولو كان واهيا ليقدم له حقيقة الأمور الغيبية أولا وبالأساس.

* الـ ... ك :

يعتمد بوزاتي على نوع من فنتازيا الحلم فيتخيل كائنات عجيبة وتسبغ عليها صفات بشرية أو إلهية، هل هي عقدة أوديب المتمثلة في الصدام بين الأبناء والآباء من نفس الجنس، ما هي رمزية البحر، هل هي تدل على الخطيئة أم العواطف المتأججة ؟ هل تدل على العجز عن السيطرة على الأشياء أم على الخوف من المجهول ؟ هل هي دليل على التورط في مرحلة الطفولة وعدم القدرة على تجاوزها أم السعي وراء فهم الواقع الداخلي والخارجي في ظل التطورات المتسارعة ؟

* عند الطبيب :

في هذه الأقصوصة يتعرض دينو بوزاتي إلى الحضارة المادية والمزلق التي اضطرت إليها الإنسان المعاصر، هذا الكائن الشقي في عزله... الشقي في شبهه بالناس وخضوعه لنفس الآلة الجهنمية التي تحكمهم فأنريكو الذي تعود زيارة الطبيب للفحص نصف السنوي يجد نفسه يذهب إليه حتى وهو سليم معاف

وكانَ هذه الحالة العابرة لا بدَّ أن توضع تحت الدرس والتحصيص فإذا الطبيب يضعه في مواجهة نفسه وإذا السكون والتشابه موت وإذا الصحة مرض وإذا التوازن عطالة ينتقل انريكو من حالة قديمة (الاكتئاب) إلى حالة جديدة (السعادة) والانسجام والتوازن) ليعود للحركة الأولى (الاكتئاب) "لقد حلَّ الليل الآن فعلا. وضباب الصناعة الجميل أتخذ لونا رصاصيا وكان من الصعوبة بمكان أن يستطيع المرء تمييز الباب المواجه "إنها العقلية المفرطة التي تفرغ الأشياء والعلاقات من روحها المادية التي تجعل الحياة مجرد اجتماع لربوهات تعمل وفق برمجة مسبقة، تقوم بوظيفتها العادية لتموت كروبوهات أيضا.

* عبد

يعمد بوزاني إلى طرائق فنية أساسية لكتابة القصة القصيرة فوحدة الشخصيات المتمثلة في الزوج العاشق والزوجة الطامعة في الإرث ووحدة الأحداث التي مهما تعددت فإنها تخدم واحدا وهو القتل يصل بالموضوع حتى منتهاه فيقبل "لويجي" على موته راضيا مستسلما لرغبة كلارا في الإستحواذ على الإرث ولكن الحوار يكشف عن صناعة عجيبة تتمثل في الجذب والشد من الطرفين فإذا لويجي يستعطف كلارا ويتوسل إليها أن تعطيه "قاطو الكرز" المسموم وهو يعرف أن فيه موته فنقول في غنج مرعب "سأعطيك قطعة واحدة" فيجيبها مصرا "لا أريدها كلها".

الجانب الفني :

تأثير الكوكب : يقوم النصّ على تنابع جهنمي للأحداث، فالراوي الذي لا يؤمن بتأثير الكواكب يجد أن النبوة تتحقق وأنّ الشوم سيؤول بصديقه الذي أخذ هو مكانه في الشقة فإذا هو يخطئ في غلق الحنفية وإذا بمقبضها يدور في الفراغ وينجرّ عن ذلك هجوم الماء وإزاء اضطرابه وعدم امكانية التحكم في الماء أو إيجاد دليل الهاتف يخرج من البيت فينغلق عليه فيسارع إلى الاتصال بالمطافئ أو أي

شخص ولكن المدينة تنعم بالراحة يوم الأحد وكلّ الدكاكين والورشات مغلقة فيزيد ذلك من توتره الذي يصل ذروته لكنه يفاجأ بعودة صديقه وبأنّ الماء لم يكتسح الشقّة والعمارة لأنّ صديقه الفطن قد عمد إلى وضع شبكة يتسرّب منها الماء.

يتمتّع بوزاري بقدره فريدة على حيك النهاية التي هي أساسيّة في كتابة القصّة القصيرة إنّّه يدفع الأحداث في تسارع محموم آخذا بزمام الشخصيات والمكان والزمان في وحدة غريبة تجعل النهاية أشبه بالمعجزة إلهارا وسعادة.

رسالة مملّة : يصور بوزاري حالة من العتب وانعدام التواصل بين أفراد البيت الواحد والحضارة الواحدة فإذا الحديث مجرد جسم لا روح فيه فهو لا يعدم الترصيف وأدوات الوصف لكنّه لا يحمل آية شحنة عاطفيّة ولا تجمع عناصره علاقة منطقيّة أو شعوريّة.

فهذه صديقه "إلينا" تكتب إليها خطابا طويلا جدا تفتحه بجملة تلخصه تماما بل تلخص حالة تردّي فيها الإنسان المعاصر "أنا نفسي لا أفهم نفسي" فتارة تتحدث عن الشتاء وتارة عن خيانة زوجها وتارة على البيع وطورا عن الزهور لتعود إلى بعضها مرّة أخرى بل إنّها تتحدّث عن ولعها بالإنجيل لتعود إلى الحديث عن زوجها ثمّ عن الصوف وهي تدرك أكثر من ذلك أنّها مملّة وغير منطقيّة في كلامها لكنّها لا تستطيع أن تفعل شيئا أمام هذا السيل العارم من العتب واللامعنى.

كريساندو : تظهر مهنة الكاتب في هذه الأقصوصة بشكل عجيب فهو يأخذ صورة الأنسة آن موتيليري الساكنة في شقتها بمفردها ويخترع من هواجسها صورا متشابهة متلاحقة، هي نفس الصورة لكنّها تتطوّر في كلّ مرّة، لأنّها تستقبل الأستاذ فاسي صديق العائلة القديم فيقع التركيز تارة على الجانب النفسي وتارة على الديكور والإضاءة وتارة على سنواتها الأربعين وطورا على

استشباحات مرعبة فإذا المكان خال والدرج خال ولا أحد يطرُق الباب وتستحيل صورة الأستاذ المضخمة كعملاق مرعب إلى مجرد إبرة لكنّها "إبرة تنغرس ببطء في القلب الوحيد" إنّها قَمّة الاحتراف والقدرة على تشكيل الشخصيات والإطار وإعادة تشكيلها مرّات ومرّات اقترابا وابتعادا للحصول على الصورة المرغوبة والأثر المراد.

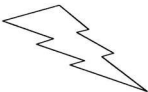
فسيفساء : يعرض بوزائي إلى فسيفساء من الحكايات لا رابط بينها فهو تارة يتحدث عن الديكة وتارة يتحدث عن أستاذ المادّة الجدليّة وتارة يتحدث عن القسيس العجوز قاتل الأطفال وطورا عن قصص فاشلة أو جنرال يوسّم رقبيا وهو ينظر إليه من عليائه ولكن تشدنا البداية والنهاية فهما تتسمان بهدوء واضح الأوّل هدوء يسبق العاصفة والثاني هدوء يليها هدوء حزين...ستار يسدل على الحيات والحيات وأخبار الشياطين ليغسل كلّ شيء "هبطت من الشمال الغيوم الطويلة الرماديّة محملة بالشتاء".

خاتمة :

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

استفاد بوزائي من التيارات الفنيّة الحديثة (الرمزيّة-السرياليّة-الغنىظاريّة-الواقعيّة) وطوّعها لخدمة النصّ الأدبي كمعنى وكمنى بالأساس فكان من أهمّ مؤسسي القصّة القصيرة الحديثة ومن أهمّ المحددين في الأدب ككلّ.

المرجع الجنرال المجهول (مختارات قصصيّة) ترجمة :د. منذر عيّاش.



سوسيولوجيا التعلم

بقلم : عبد المجيد البراهمي

ماهية التربية :

الطفل كائن اجتماعي بدرجة متميزة، له حقوق على الأسرة وعلى السلطة تجسّمها العلاقة بين الجانبين المتعاطفين والمتعاضدين والمتكاملين في الأدوار لتأمين تلك الحقوق من خلال ممارسة نمطين خاصين من التربية هما : التربية على السلوك و التربية على التعلم.

لا يمكن أن نربي طفلا ليطيع ويفعل كل ما نريد، فكما أن هذه الطريقة عسيرة وشاقة وفيها تحطيم مقنن لشخصيته على المدى البعيد، فإن الحل الأفضل حينئذ في مجال التربية على السلوك هو استعمال ما يسمى بالتربية التقليدية والطبيعية، مثلا كأن لا نحرم طفلا من اللعب ونأمره بالبقاء بالمتزل كامل اليوم ونحن نعلم أن اللعب لا يقل أهمية عن التعلم بالنسبة له إذ ينمي عضلات بدنه وقدرات ذكائه، ودورنا يقتصر إزاء هذا الطفل على المراقبة ومعالجة الأخطاء والاضطراب النفسي كلما ظهر أو بدا شيء من ذلك فنعلّمه كيف يختار الأفضل من الأشياء والحاجات ليكتسب أسلوبا ذكيا في التعامل مع الناس وفي قضاء شؤونه اليومية بطريقة مقبولة فيها تفاعل مع ذاته، نستكشف نباحها كلما أنجز هذا الطفل أمام أعيننا الغرض المطلوب أو جزءا منه لا يستهان به.

ومع ذلك لا يكتمل بناء شخصية الطفل قبل الدراسة بل أن الدراسة

بكامل مراحلها ستكون بدورها متممة له باعتبارها عامل تنشيط للذهن بدرجة علمية وتقنية فيها التدريب على الكتابة والقراءة وعلى التفكير وفق منظمة تربوية حددها علماء النفس والتربية للمؤسسات التربوية في مجتمعاتهم التي تفرض على الطفل / التلميذ أو الشاب / الطالب قواعد الانضباط من طرف المربين الذين أصبحوا يتعايشون معه ساعات في اليوم عوضا عن والديه وأشقائه وأبناء حيّه .

1- الانضباط على الانتباه للدرس والفروض التأليفية والشعور بقيمة السعي للحصول على أفضل النتائج والتلذذ بنكهة النجاح .

2- الانضباط في عملية خزن المعرفة بالمراجعة والتدوين والتشقيف والثقافة .

3- الانضباط على المحافظة على القيم الأخلاقية والسلوك الحضاري ليس داخل المؤسسة التربوية فحسب وإنما كذلك خارجها .

فالعلم ولئن كان يحدد حاجة الإنسان للتطور عمليا فإن قيم المجتمع الذي يعيش فيه والتي هي الخير والشر العدل والظلم الحق فالواجب والتسبب فاللامبالاة هي الأخرى ظواهر اجتماعية سوف يعيشها ويشاهد تأثيراتها وإحباطاتها كوقائع سواء في الشارع أو في علاقاته الإنسانية ونشاط الناس الاجتماعي وهو طفل صغير فشابا مرأقا أو كهلا .. الخ ويفترض أن يجيب عن كل هاته القيم عملا وسلوكا أي أن يكون له موقفا حيالها ومن هنا تبرز وتظهر قيمة ما حصل لديه ليس من العلم فحسب وإنما كذلك من معرفته ومدى فهمه لتلك القيم . ولو سألنا موظفا عن أهم فترة قضائها في حياته ليحيينا على الفور - زمن الدراسة .

فالتعلم عالم رحب متسع الأكثاف، له عدة نظريات تاريخية

وابستمولوجية ومضامين علمية وعملية يجب أن نعي ذلك جيدا إذا أردنا أن يكون التعلم مرتبط بسوسولوجية معينة باعتبارها عامل إضافة للتعلم ذاته إذ به نحدث نقلة نوعية فمن الممارسة " اللاشعورية" الروتينية والوظيفية للمسألة التربوية إلى العمل الشعوري الذي يتطور بحسب تطور العصر ووفق منهجية تربوية شاملة تترجم عن أفكارنا السيكوسوسيوديناميكية.

إن سيطرة المناهج التربوية المقلسة على المؤسسات التربوية بدول العالم الثالث ساعدت على استمرار حالة التوتر والتأخر وقد لا تنجح تلك المؤسسات ما لم تطور مناهج التدريس لديها وما لم يتكون فيها رأي حر، ناقد، ومطلع على حقيقة الأوضاع، كذلك التسييس بعقلية واحدة ما تفتأ أن تعوق المسار. فلقد أولت بلادنا منذ الاستقلال ولا تزال أهمية كبرى للتعليم نتمس اليوم بتأفجها بكل فخر واعتزاز بل ونسعى باستمرار إلى تحقيق المزيد والمزيد لإعتقادنا بأن الرائد البشري المتعلم إلى جانب تحقيق الاكتفاء الذاتي من إنتاج الأغذية هما خير ما نستقبل به القرن الواحد والعشرين قرن الحرب الاقتصادية و حرب الأفكار .

و من هنا تلعب السوسولوجيا الاجتماعية دورا رئيسيا في عملية المواجهة ما بين التغير الاجتماعي والأسرة التربوية فتأخذ من الناحيتين أعني بذلك أنها تربط بين وعي العائلة بضرورة القيام بدورها الاجتماعي من جهة ودافعية الأسرة التربوية من جهة أخرى للأخذ بيد التلميذ، و العمل على وضعه في المنهج السليم أما المربي فإنه يفهم جيدا أسباب تأخر هذا التلميذ و تقدم الآخر ويدرك أيضا أسباب معالجة الفرق بين المستويين لتجاوز معوقات حالات اللاتكافؤ الفهمي حتى ينجح كل تلاميذه .

ما هو دور السوسولوجيا إزاء الطفل / التلميذ ؟ :

من المعلوم أن مفهوم السوسولوجيا هو دراسة الظواهر الاجتماعية وتحليل أنماط السلوك الاجتماعي و الفعل ورد الفعل لدى الأفراد و المجموعات . وعلم السوسولوجيا هو ما يدرس حول نشأة النظم الاجتماعية و سيرتها و تكوينها و مركباتها فبناها المادية و الفكرية و طبقات المجتمع وأشكال تحولها ومدى تأثير الأحداث فيها و القوى المحركة في حياة الناس نحو النهوض الاجتماعي .. إن الوضعية الاجتماعية لكل فرد من أفراد عائلة الطفل / التلميذ قد تبدو مجردة من عنصر التأثير أو الإثارة و بالتالي لقاتل أن يقول فهذه الوضعية كيفما كانت ليست عنصر استنتاج لتبرير فشل التلميذ أو نجاحه، إلا أنه أخطأ من يتخذ هذا الموقف بجهله إلى أن الطفل / التلميذ كائن اجتماعي رفيع الدرجة (l'enfant élève est un être social par exélançe) إذا ما استخدمنا نتائج تحليلنا للنواحي الاجتماعية التي يعيشها (الطفل/التلميذ) وضعية الأب و الام الثقافية و المهنية عدد أفراد الأسرة، وهل هناك أحد أفرادها يشكو إعاقة ما الخ... يمكن لنا وخصوصا للمربي أن يستنتج السبب الدافع لنجاح التلميذ أو لفشله .

فالعائلة الملتحمة الأجزاء تعطي صورة تساعد على تكوين الطفل / التلميذ المشع المتميز أي أنه بالتبعية تلميذ يعمل في ظروف جدّ طيبة و مستريحة ، وبدرجة فعّالة و عميقة و مركزة و بالتالي ناجحة والعكس بالعكس .

ذلك أن التلميذ الذي يرسب في درجة ما ما هو إلا تلميذ فقد الاستعداد لاستقبال درجة جديدة ، وليس بالضرورة تلميذ فاشل ،وقد

يكون مردّ عثرته أنّ حياته بالبيت مضطربة شاقة لا يستطيع معها فكره وهو في سنّ معينة ، قد لا تتجاوز العشر سنوات مثلا أن ينشط و يتوقّد و يمتلك إرادة الدفاع و الخروج من الحماة ومن الوضع السيء الذي يحيق به .
و أريد أن أؤكد أن للتعلّم مفهوم رئيسي من مفاهيم علم النفس ، ظل يحظى باهتمام العلماء والمفكرين و رجال التربية في كل زمان ومكان، و من ثم جاء ما يسمى " بعلم النفس التربوي " .

و لا يقتصر الاهتمام بالتعلم على المؤسسات فحسب بل يجب أن يكون موضع إهتمام الأسرة والمجتمع بعامة . فالتعلم من الأمور البالغة الأهمية عند كل إنسان في أي مجتمع . كذلك لا يقتصر التعلم على سنّ معينة أو مرحلة معينة من العمر بل هو عملية مستمرة ما استمرت الحياة فكذلك أرى أنه من المطلوب من كل ولي أقبل على المدرسة ليرسم ابنه أو ابنته بالسنة الأولى من التعليم الأساسي أن يفتح قلبه و بيته ودون حرج ليبحث اجتماعي قد يأمر به مدير المدرسة ليكون من متممات الملف الدراسي للتلميذ يمكن لمدرسيه الرجوع إليه عند الحاجة فيتخذوا التدابير الناجعة ، وفي الوقت المناسب لانتشال التلميذ من مغبة الرسوب و الضياع .
أرى أن المدرس الواعي المستنير المخلص لنبل و شفافية مهنته يعمل على أن يكون مطلعا على البناء النفسي والاجتماعي لتلاميذه، منذ الأسبوع الأول لاستقبالهم بالفصل ، لأن في ذلك يكمن سر نجاحهم ونجاحهم و فشله و فشلهم فالتلاميذ هم في كل الأحوال ليسوا قطعانا سائبة بل هم فلذات أكبادنا التي تمشي على الأرض وفي ذلك قال أحد الشعراء العرب: إنّما أولادنا أكبادنا تمشي على الأرض و في ذلك قال أحد الشعراء العرب : إنّما أولادنا أكبادنا تمشي على الأرض إن هبت الريح على بعضهم امتنعت أعيني

من الغمض. . ننجبهم ولكن بعضنا ويا للأسف يعجز بل ويفقد السيطرة على تربيتهم و رعاية شؤونهم إنهم يحملون تركيبة الإنسان وماهيته ومعاييرها في أسس مراحلها وهي الطفولة البريئة..فالنمو و التضج ..

و المربون أصناف :

أعجز المربين هو الذي يعامل تلاميذه معاملة جافة، صامتة، صعبة ودون حوار، و يحضري قول طريف لجول لوماتر (jules lemaîtres) "خير تلميذ لي هو الذي رأيه ليس من رأيي".

حينما يلحظ المعلم أن العلاقة بينه و بين التلميذ أصبح يكتنفها التصادم و التوتر بسبب رداة مستوى هذا الأخير فإن على المعلم الذي هو الطرف الفاعل أن يعمل على رفع الالتباس :

- باكتساب التلميذ الثقة بالنفس ، فالتحكم في سرورة المتابعة بالفصل وهكذا دواليك إلى أن يحقق التلميذ الحد الأدنى المطلوب منه وهو الفهم والتركيز و الامتثال .

- يستحسن على المعلم أن يعامل التلميذ البطيء الفهم بروح رياضية، و اقصد أن لا يقاطعه عند الإجابة بل يحاول إشراكه ، إذ ليس أخطر على التلاميذ - وخصوصا هذا الصنف من التلاميذ - من مقابلتهم بالجفوة والنفور وبالصلف والتحكم والتعنت والتعسف في بعض الأحيان والكتابة بلغة متعالية. فروعة الحصص وزيتها بإثراء الحوار مع التلاميذ عموما . هكذا يصنع المعلم الطريق ليشقه التلاميذ لا ليشقه هو فحسب .

قد نخشى المعلم ضياع الوقت بسبب تحديد أمد الحصص أو بسبب وفرة المواد أو بسبب الاجترار و التكرار و الاستطراد الممل بسبب تخلف الفهم لدى جزء يسير من التلاميذ ، يجب عليه أن لا ينسى إن لم أقل

يتناسى في بعض الأحيان انه لم يبين و يشرح موضوع الحصة بما فيه الكفاية فعليه أن لا يمر عليها مرّ الكرام بل يتدارك أمره فيدعو التلاميذ إلى المذاكرة خارج أوقات الدروس و يمدّهم في ساحات المدرسة ببعض النصائح و أعود لأؤكد من أنّ الإشعاع الأدبي و الطاقة الذاتية للمعلّم إلى جانب حرصه على تحقيق نتائج في مستوى طموحاته ، كل هذه العوامل تلعب دورا نفسيا و تربويا في سبيل دفع التلاميذ نحو الكدّ والجدّ فعلى المعلّم الذي يرغب في أن يكون له زادا أدبيا وثراء معلوماتيا عليه أن ينشغل بالمطالعة و يحرص كل الحرص على اقتناء ما جدّ من مجالات و كتب أدبية و لما لا يساهم بدوره في الحركة الأدبية و الفكرية للوطن العزيز ويحضري قول الأديب الفيلسوف و الفيلسوف الأديب ميخائيل نعيمة " إن الذي يريد أن يبلغ القمة الأدبية عليه أن ينبذ الكثير من ملذات العالم " لم لا يحاضر المعلم من حين لآخر حول موضوع بيداغوجي يشغل بال الأسرة التربوية ؟ أعتقد أن مديري المدارس وكل متفقي التعليم يشجعون مثل هذه المبادرات بل يثمنونها تيمنا .

إن مرحلة الدراسة هي التي تحدد الوجهة الحقيقية للتلميذ سواء في سلوكه أو طموحاته و في غط عيشه ويقول الفيلسوف كانت (Kant) ما يفرق بين الإنسان و الحيوان هو أن الإنسان لا يكون إنسانا إلا إذا تعلم ، ويذهب أفلاطون إلى ابعاد من ذلك بقوله " يجب خمسين عاما لتكوين رجل " .

إن جل عائلتنا عاجزة عن إزالة خوف أبنائها من مرحلة الكهولة و مردّ ذلك عجزهم عن مصاحبة أبنائهم و الملاحظة

والرصد الدقيق لسلوكهم و للواقع المعاش .

كيف للطفل / التلميذ أن يحصل على ذكاء الحياة؟

هذه مسؤولية الأولياء بدرجة أولى ولكن تتعاقد المسؤولية ذاتها مع المربين حال إدماج الطفل بالمدرسة هذه ليست أمور سطحية مجردة عن كل دلالة بل هي أساسية إلى حد كبير و هي القاعدة الجوهرية في درب حياة الطفل/ التلميذ

حينئذ يجب أولا: أن تنطلق فكرة المدرس حول تلميذه من معرفته لمنحدره الاجتماعي ، و ثانيا : من علاقة حميمة تربطه به قوامها المصارحة ، ويذهب المدرس في فرنسا إلى اتخاذ مبدأ "الاصطحاب" لمساعدته على وضعه في المنهج السليم ... و هو بذات الموقع كـمدرّس (ملقّن) و التلميذ (كمتلقي) و بحكم المسؤولية (l'autorité) يعدّل المعلم الضوابط الدافعة في كل آن حتى ينجح هذا التلميذ ويزوده بأكثر ما يمكن من المعارف و التربية على السلوك. وأشير هنا إلى أنه كان من المفروض أن تكون هناك نوادي خاصة للمربين و ليس المقاهي حيث يمر أطفالنا فيلحظونهم يلعبون الورق؟ وهذه المسألة لها تأثير على سلوك التلاميذ..!

إن العلاقة بين المربي و التلميذ ليست نموذجية و لا هي مثالية في أغلب الأحيان وهذا هو الواقع الملموس والمحسوس في مدارسنا. ناهيك أن بعض التلاميذ حينما يعودون إلى ديارهم يقصّون لأوليائهم كل حركة قل أو عظم شأنها ، حتى وإن كانت مثبتة قام بها المعلم في حصّة من الحصص ؟ إننا نبحث في الوسائل المضاعفة و الدافعة لمسيرتنا التربوية من خلال اتساع وظيفة المربي و اهتمامه الشغوف بالتلاميذ حتى يكون التعلم خارج دوائر الأزمات المادية والنفسية و الأخلاقية .

إن المفهوم الخالص لدور المربي هو انتقاله من مهامه الوظيفي الضيق إلى ممارسة دوره التربوي الشامل هذا إذا كنا نريد فعلا أن نكون مواطنين رفيع المستوى علميا و سلوكيا .

إن اتساع أطر التشاور بين المربين والأولياء عامل من العوامل التي تدفع بمسيرتنا التربوية نحو النجاح أما ما يقوقع المسار التربوي في الخضيض هو التفكير هذه الأزمة المستديرة التي تنخر بمجهود المربين على وجه الخصوص - المعلمون نجدهم في واد والأولياء في واد آخر.

كان من المفروض أن تنشط منظمة التربية و الأسرة في التقريب بين المربي و الأولياء لكن لحد الآن ظل نشاطها محتشما ناهيك أن بعض الأولياء لا يعرفون جيدا من أن هناك منظمة وجدت لتمثلهم . كما أن البعض الآخر ممن يعرفون أنها موجودة لا يدركون أن المنظمة المذكورة من حقها أن تحضر ممثلا عنها في مجالس التأديب ومجالس الإسعاف و مناقشة مقاييس الإصلاح المتعلقة بالمناظرات التي طالما اشتكى منها الأولياء وعدد لا بأس به من المربين أنفسهم . من هنا كان على المنظمة أن توفر كتيبا أولا لتعريف الأولياء بدورها ، ثانيا لضبط أطر العلاقة بينهم و بين المؤسسات التربوية . هذه هي نقطة انطلاق علاقة الولي بالمنظمة ، حيث يمكن للمدارس حين يقبل عليهم الأولياء لترسيم أبنائهم بالسنة الأولى من التعليم الأساسي أن يسلموهم و المربين و أساسا مدير المدرسة حتى أنهم أصبحوا يتمتعون حتى عن السؤال عن حال أبنائهم في الدراسة ويستسلمون للآمبالاة، وهذا بطبيعة الحال موقف مضر بمستقبل منظوريهم

كيف السبيل للتحرر من الآمبالاة ؟

إن هذه القضية شعورية بدرجة كبيرة لأن نمو السيورة الحياتية تفرض حزم الشعور الإنساني و المهني بعمق الواجب المتوط بعهدة الأولياء و النخبة الثربوية أساسا ، فما إن تصل إلى درجة حضارية معينة يجب أن لا ننحدر و إنما نرتفع إلى الدرجة التي تليها . إننا لا نتخيل التقدم بل نغزله غزلا بفرحتنا بأفكارنا. ونبجنا وشعورنا الوهاج للريادة الحضارية التي ضاعت من بين أيدينا منذ قرون.

إننا شعب تواق إلى السعادة بل نعشقها حتى التضحية أكثر بكثير من الغرب المتقدم تكنولوجيا إننا نعيش السعادة في أسرنا المتواضعة الدخل أكثر مما تعيشه الأسر لدى الغرب، و هذا ليس من قبيل المشاهدة المجانية و إنما هي الحقيقة .

إن كلامي هذا ليس كذلك من قبيل المراء و الأحلام أو التمني لاعتقادي بأن الأمان لا نحل مشكلا ،وقدما قال الشاعر أحمد شوقي: "ما نيل المطالب بالتمني ،ولكن تؤخذ الدنيا غلابا" . إلا أني اعتقد في نفس الوقت انه إذا ما استقر وجد أن النخبة الثربوية الواعية المخلصة فنذرت نفسها على البذل والعطاء والأخذ بأسباب النجاح كلّفها ذلك ما كلّفها ، وسكن بوجدانها الشعور بالتحدي والإيمان بالذات و بإرادتها وقدرتها فلن تجد الأفكار المحينة في سبيل نشاطها مطبا ،وقد لا همها النتائج بقدر ما همها قصة الوصول إليها، مثلها كمثل النحل تجمع رحيق العسل و تبني خلاياه... ثم يأتي العاسل يجمعه ثم يصفيه ثم يدمه سائغا للشاربين.

أقول هذا و أنا أعلم أن المربي لم يأتي من كوكب آخر ، انه إنسان يتأثر بمن حوله، و له أيضا مشكلاته الخاصة ، لأنه ليس في منأى عن المجتمع الذي يعيش فيه بل هو جزء لا يتجزأ منه. و كل إناء بما فيه ينضج والمجتمع

هو الإناء و ما المعلم إلا هذا النضج ، وبالتالي لا يمكن وصفه بعيدا عنا أو قريبا من أحوال مجتمعه بقدر ما هي أمور فردية يتساوى الجميع حيالها .

نستخلص من هذا الغيظ من الفيض أن هناك مسؤولية مناهة بعهدة المربين و الأولياء على حدّ سواء و على كل طرف أن يتفاعل أكثر مع هذه القضية و أن لا يستسلم للدّعة ، لأن قضية التعلم حضارية بدرجة كبيرة و خطيرة و حساسة .

إن المجتمع الذي يحاول أن يخلص نفسه من المشاكل لا بد أن يناضل من أجل الوصول إلى خلق أرضية تتوفر فيها أسباب السعادة والطمأنينة به من خلال :

- الرعاية الاجتماعية لضعفاء الحال و خاصة أثناء طفولتهم
- السعادة الشخصية للأطفال
- تلقينهم المعلومات الجنسية الصحيحة
- الإحاطة المدرسية اللازمة

فما بين الحياة العائلية و الحياة المدرسية هناك عدة أشياء يجب أن يوفرها الأولياء والمربين كل من جانبه لغاية حصول التوازن النفسي و الفرص المتكافئة حتى يقضي التلميذ حياة مطمئنة .
سنعمل على تخفيفه الضيق والاكتئاب والشعور بالإحباط وبخيبة الأمل حتى لا يندفع نحو

نحن مطالبون بصياغة برنامج متكامل يعنى بتربية الطفل / التلميذ التربية النفسية و على السلوك الاجتماعي.

يجب أن نشرح له ضرورة الاهتمام بالآخر و بالتعبير عن الحب و المشاركة الوجدانية وعرض المساعدة والخدمات الاجتماعية وملازمة

الصدقة التلمذية في سياقها التربوي و الأخلاقي دائما .
 قد نفع على تلميذ لا يزال يعيش طفولة متأخرة أو مرافقة متقدمة
 نتيجة لنموه في بيئة غير واعية بأهمية حياة محضونها.
 نحن مطالبون بوضع خطة لمعالجة هذه الظاهرة منطلقين من فهم وضعيّة
 التلميذ في الدراسة ووضعيته في البيت أي بين أسرته.

سوف نجتمع أكثر قدر ممكن من الآراء و الشواهد التي ستسمح لنا
 بتبني نظام يمتلك المقومات المادية و النفسية التي فيها شيء من الإحاطة و
 الرعاية بغية معالجة الاضطراب الاجتماعي الذي يعيشه الطفل بإشراف أفراد
 أسرته و أقرانه من التلاميذ و المدرسين المهتمين بالعمل الاجتماعي لغاية
 تحسين توافق الأطفال عموما في نطاق أسرهم أو مدارسهم أو ناديهم أو في
 سياق آخر.

سوف ندرّب الأطفال على ممارسة العديد من المهارات الاجتماعية
 و بالتفاعل الاجتماعي حتى نقضي على ظاهرة الانسحاب الاجتماعي
 بإشعار كافة التلاميذ بأن هذا العمل هو التزام وجدائي قيمي وأخلاقي
 وإنساني يتطلب الوفاء له والإخلاص فيه ، و تبادل المساعدات والخبرات.
 يجب أن يشعر التلاميذ بأهمية الصدقة التلمذية والعلاقات التعاونية و بكل ما
 يدعم الحجة المتبادلة فيما بينهم . و هذا من أهم الأسباب التي تمنحهم إمكانية
 النجاح على المستويين التربوي والاجتماعي

الحواشي :

- ابستمولوجيا : (epistemologie) دراسة فلسفة العلوم etude
 critique des sciences de la formation et des
 conditions de la connaissance scientifique

- السيكوسوسيوديناميكية : هي نظرية فلسفية أسسها الفيلسوف محمد عبد الرحمان مرحبا وفتحتم برصد تطور الحركة الفكرية في مستوى الجدل الفكري الحضاري و العلمي اعتمادا على قاعدة الأفكار تخضع لقانون ذاتها و لا يمكن رصدها رياضيا ولكن السيكوسوسيوديناميكية فهي أقرب ما تكون إلى علم الاجتماع الثقافي ./.
- * في اللاعقلانية : يمكن الرجوع إلى كتاب : تحطيم العقل لجورج لوكاشي ترجمة الياس مرقص لفهم مسألة الانحدار .. الخ

بإشارة من الدكتور الجراح أنور بن يونس ديبش وبرغبة منه كتبت ترجمة الشاعر منور صمادح فهو يعتبره صديقا ومعلما له قام بمهمة توجيه الشبيبة الدستورية بمكثرت وتلقين أفرادها الأناشيد الوطنية والنشيد الرسمي "حماة الحمى" وذلك خلال السنوات الخمس التي عاشها الشاعر بمكثرت ابتداء من عام 1948 وكان الدكتور أنور ديبش من بين أفراد الشبيبة الدستورية.

والحديث عن الشاعر منور صمادح زمن إقامته بمكثرت يستدعي ذكر مراحل تنقله من مسقط رأسه نفطة إلى عدة مدن تونسية.

حوار مع مبدع...

أجراه : المنجي المحمدي



-زار الإتحاف في الأيام الأخيرة الأديب القصاص
ديداني أرزقي مراسل المجلة بعاصمة الجزائر. فاستغلت
أسرة التحرير وجوده بيننا في تونس لإستضافته
في ركن حوار مع مبدع.. وكان اللقاء دافئا ممتعا
ثمحور حول مواضيع متعددة في الفكر والثقافة
س1 : الأديب ديداني أرزقي عرفناك في

الإتحاف منذ أكثر من عقد بكتابتك في مختلف فنون الأدب، فهل لك أن
تعطي قراءنا مزيدا من الأضواء على بداياتك الإبداعية؟
ج:البدايات كانت بسيطة تقريبا، وأذكر، هنا أنه، وعزل بوقية كان
اهتمامي يتمثل في السمع، والكتابة وقراءة الكل المواضيع التي تدور حول
هذا الفن الرائع، والذي يضلّ عليه.

-الفن السابع وأول قصة قرأتها عندما تركت المدرسة خارج مطالعات
قصص الأطفال، كانت بجريدة الصباح، وأذكر عناؤها وهو : الفستان
الأحمر، وأذكر اسم البطلة وهو، سعاد: ومن عجب الصدف أن الاسم له
وقع خاص بالنسبة لي..وهي أول قصة فنية قرأتها. ولم أعد أذكر، اسم
كاتبها، الآن.

ولكن الكتابة لديّ، تأخرت قليلا، عن المطالعات. حيث كنت زمن
مراهقني الأولى أكتب مجرد شذرات قصار من الشعر، والخواطر...ولم
أحتفظ بأي منها، ذلك، لأنني لم أكن جادا وقتها.

وكانت مكتبة الصوابي، والتي أصبحت الآن في حالة يرثى لها، هي مقصدي صبحه أحد زملائي بمسقط رأسي مدينة مزّل بوقية، وكان هذا الزميل يكتب الشعر العمودي ويسجله بكرّاس خاص عكسي، أنا... وللأسف مات منتحرًا، وهو لم ينشر حرفًا.

لما انتقلت للحزائر، بلاد أجدادي، وفي بداية سنوات السبعين وكان تقريباً - عام 1971 - كتبت أوّل قصّة قصيرة، ثمّ أشعاراً، وبدأ اهتمامي بأخذ الجدّيّة بعالم الثقافة. بقيت طوال 10 أعوام أكتب، ولم أنشر شيئاً.. ولمّا دخلت معهد التربية بمدينة - عناية شجعي أستاذ علم النفس التربوي، وكان من لبنان اسمه محمد عمر كسن. كان غريب الأطوار، ومثقفًا يكتب باللّغة الفرنسيّة، فقط... وأصبحنا بسرعة أصدقاء. ونشرت بجريدة الشعب تصدر بالجزائر العاصمة قصّة قصيرة وكانت بعنوان ثمن الحبّ الكبير... ثمّ بجريدة النصر، ومقالاً عن السينما ومنذ بداية أعوام 1980م بدأت أنشر، من اليوم السابع بباريس، إلى كتابات معاصرة بلبنان وطبيعي وكما هو معروف نشرت بتونس الملاحق الثقافيّة، وهذا يبهجني، كثيراً وبدأت بداياتي ترسخ، وتعدّدت الأجناس التي أمارس الكتابة فيها من القصّة القصيرة إلى الشعر، اللوحة المسرحيّة، التقدير الأدبي والفني، الرواية ولذلك تشعبت اهتماماتي الثقافيّة.

س2: باعتبار تواصلك مع الإبداع التونسي، كيف ترونه حالياً؟

ج: كان تأثير الشابي عليّ كبيراً، فكّلما أقرأ نصاً تونسياً أرى فيه ذلك الشاعر الفذّ... وإطلاعي على الإبداع بتونس غالباً كان في القصّة... أراه ينحو إلى اللّعب اللغوي أكثر منه إلى إلزام بموم الواقع، وهو قليل التماس مع الشرط الاجتماعي، وكان المسعدي بنصوصه القويّة هو علامة

الإبداع... إلى جانب عروسيّة النالوتي ورضوان الكوي والشباب منهم محمد آيت ميهوب من بقرت وشعراء ونقاد مثل صديقي الرائع-أبو زيان السعدي- وكذلك محمد طرشونة..

الإبداع التونسي متنوّع، وغزير وهو محظوظ لأنّ تونس بها سوق ثقافي جيّد.. وانفتاح ثقافي رائع. معمرى.. وصدرت عن هذا الشاعر الكبير الكثير من الدراسات والكتب. وجاءت مرحلة الإبداع الروائي زمن الاستعمار وخلال الثورة التحريرية... مولود معمرى، مولود فرعون، محمد ذيب وآخرون... وكانت مرحلة تأسيس كبيرة وثورية للعالم الثقافي الجزائري ممثلا في جنس الرواية وكان القاصّ الوحيد، الذي يكتب القصّة القصيرة في تلك الفترة هو : رضا حوحو.

وأخذ المشعل الطاهر وطار، وهي المرحلة الثالثة، بدأ في تونس، وكان معه روائي آخر، عبد الحميد بن هدوقة وأسّس للكتابة الملتزمة بمحوم مجتمع يخرج من مرحلة كولونيالية إلى مرحلة أخرى.

ولكن الانقلاب الحقيقي في المشهد الثقافي، الإبداعي بالجزائر، كانت إنتفاضة 5 أكتوبر 1988 حيث أفرزت مرحلة أخرى تترجم هموم مجتمع متغيرة بطلب حرية وحياة كريمة... عمل الكاتب في مرحلة أواخر الثمانينات إلى تأسيس ملامح جديدة وخلق عوالم ثقافيّة مغايرة حداثة بالأساس وتضمن الإنسان وتؤسّس للإختلاف.. كان من أبرز كتاب المرحلة الطاهر جاووت، أمين الزاوي، بنحي بن عودة، عياشي يحياوي، سعيد هادف، ديداني أرزقي، بشير مقتني، نجاح حدة، فهيمة بلقاسمي، ديداني رضا... وآخرون.

وعمّقت أزمة الإرهاب من أسس هذا الاتجاه الجديد رغم اغتيال البعض من المبدعين، إلا أنّ البقيّة واصلت ولم تنهزم أمام الرعب الذي عصّف طويلا...

ونستطيع تحديد المراحل الإبداعية :- التقليدية- الروائية المسرحية التأسيسية- المنترمة- المرحلة وأراه في الميدان النقدي والفكري بصحة جيّدة..
أما في الإبداع الفني فهو يتراوح، مكانه.

س3: الإبداع الجزائري قريب، جدا، من الإبداع التونسي فما هي علامات، وشائج القرب؟

ج : طبعا يوجد وجه تشابه، نظرا للحوار، وللتاريخ المتشابه وللإكراهات الحضارية والاجتماعية... لكل ذلك ولغيره لأنّ ألهم تقريبا، يوجد به من التوافق الشيء الكثير..
ولكن الاختلاف، عند التفحص بين الإبداعين، كذلك يجد المتمعن أوجه تباين... مثلا: الإبداع التونسي هو : شعريا والإبداع الجزائري هو : روائيا.
الإبداع الجزائري وصدمته فترة الاستعمار الطويلة، والاتجاه الشمولي في بداية نشوء الدولة الوطنية، ثمّ الأزمة المربعة التي نتجت عن الإرهاب وكلّ الأخطاء والقاتلة... أي أنّ المحرّك يختلف من الإبداع التونسي إلى الإبداع الجزائري.

س4: لقد مرّ الإبداع الجزائري بمراحل فهل لك أن توضح لقرائنا ملامحها العامة؟

ج :
كان الإبداع الجزائري في مراحله الأولى، تقليديا... شعر عمودي... هو عبارة عن نظم... ولما جاء الاستعمار الفرنسي حرّك- كرد فعل- عوالم هذا

الإبداع...ظهر المسرح في شكل أولي...بالدارجة...يحفز الهمم ضدّ المستعمر، وظهر الشعر الشعبي...ثمّ الشعر باللغة الأمازيغية...ونجد مؤسس هذا الشعر المبدع-سي محند أو محند كان يقول أشعاره بالأمازيغية...وترجم إلى اللغة العربية والفرنسية...قام بالترجمة الروائي مولود الحديثة النائرة عن القيم الثقافية والمؤسسة لقيم ثقافية جديدة وهي التي ما تزال مستمرة.

س5: تعتبر الجاحظية مؤسسة ثقافية رائدة، فما هو موقعها في الساحة الثقافية الجزائرية؟

ج: مؤسس جمعية الجاحظية، الكاتب الطاهر وطار مثقف ملتزم..كان من مؤسسي الرواية المكتوبة بحرف عربي وهو، قد عاش بتونس، ويتذكّر ذلك باعتزاز...وأسس الجاحظية في 1990. وبسرعة عصف رياح الأحداث بالمجتمع، وتغير الوجه الثقافي، منذ انتفاضة 1988 ولكن الجاحظية حافظت على استمراريتها. واحتضن الكتاب الشباب وكتاب الموجة الجديدة، على الأخص. وفي الساحة الثقافية توجد جمعيات أخرى، منها جمعية : رابطة إبداع. ثم جمعية الاختلاف. لكن وبفضل روح مؤسس الجاحظية كانت هي السائدة والأكثر حضورا في المشهد الثقافي الجزائري.

ورغم أنّ السوق الجزائري ثقافيا بسيطا ويوجد به الكثير من الصعاب، إلّا أنّ الجاحظية لم تفقد من توازنها واستمرت في نشاطاتها...ملتقيات، نشر وضع وفتح ورشات للمسرح وللموسيقى. وهي تجدد من المثقفين الاهتمام..وللجاحظية الوقع الحسن في جمهور المشهد الثقافي الجزائري نظرا لأسباب كثيرة منها: نشاطها الذي يضمن كلّ الجزائر. نقائها لكتاب الأقاليم..احتضانها لكتاب التحديد..تواضع مؤسسها الطاهر وطار وخلوه

من أمراض الشهرة التي تنخر في جسد النخب الثقافية. وهي تلقى، أي جمعية الجاحظية الاحترام الجديدة به.

س 6 : أين مكان الثقافة العربية في زمن العولمة ؟

ج : هناك حالة من التذبذب أصابت الثقافة العربية من جراء سقوط حلم الإنسان في تحقيق مطالب الحياة، والهزائم المتكررة أمام الاستعمار الجديد.. الغرب والمشروع الصهيوني..

حالة من إحباط مريرة ترزح تحت وقعها الثقافة العربية .. فالنخب الثقافية تجري وراء مصالح آنية وينخر جسدها مرض الشهرة، والأنانيات المفرطة.. قد تكون الصورة سوداء.. وقد أكون قاسيا.. لكن هذه هي الحقيقة للأسف !

والثورة العلمية وصلت إلى حدها الزائع، والأقصى وثورة الاعلام بلغت مدى شاسعا، وطويلا، وغاية في الدقة..

وعلى مستوى الفكر، هو زمن ما بعد الحداثة، ونحن نلهث...

والإنسان المتحضّر ينتج القيم، الأفكار، الأدوات، ويسبج على مستوى السياسة مصالحه حيث العولمة هي : استعمار حضاري بأتم وجهه البريء والظالم، والقيبح..

وهنا، نجد مكان الثقافة العربية غاية في الدقة الحضارية.. فهو مكان غير مريح، بالمرّة...

تحدي علمي، اقتصادي، فكري، إبداعي...

على الثقافة العربية خلق مناخات للحرية في السلوك في الإنتاج.

على الثقافة العربية تأسيس محليتها وتحليلاتها في مناحي الابداع، والحرية. والانغراس في إنسانيتها المنحزة عبر تراث حضاري غني.

على الثقافة العربية أن تواجه، بحدة معرفية، بمعنى ابستمولوجي .. وعليها تحريك مشهدها نحو انتعاقية شفافة وهنا تستطيع أخذ مكان، لها في زمن العملة الذي لا يعترف سوى بالقوة.

س 7 : ما هي وضعية الكتاب في الجزائر ؟

ج: تحسنت أوضاع الكتاب كثيرا. هناك جمعيات تهتم بشأنه .. ويوجد دعم الدولة له .. ولكن، هناك معضلة كبيرة أمامه، رغم المعارض الجهوية والوطنية، فهو لا يجد السوق أين يستطيع نجهه .

وعموما فالكتاب بالجزائر، قد نستطيع القول أنه بخير، عما كان في زمن مضى .

وأخيرا تحية عطرة للقارئ التونسي وشكرا للإتحاف.

وأخيرا ينبس الإشراق الصوفي ويتمحض ألم المعاناة عن لحظة اليقين فتولد القناعة ويذهب الشقاء والاهتداء، هنالك في صجراء الحرم حيث وقف وحيدا يضرع إلى الصمت أن ينطق وإلى حبة الرمل أن تطلق قواها الكامنة، ولا غرابة أن تتزامن عودة اليقين لديه بولادة زوجته الشرعية فقد عاش هو المخاض العسير قبل ولادة الإيمان فضل ليهتدي، ومرض ليشفى. كانت نفسه قلقه حائرة، وكانت أحشاؤه حلي ببذرة الشك واليقين والسام منذ سكنته دودة السؤال عن معنى الحياة وصار مسكونا بهاجس البحث عن الله الضائع، فطرق الأبواب متوسلا الجواب، ونبت الموجد بحثا عن المفقود وطلبا للمنشود، فحرب الحمرة والحب والزق طلاب، وتمايم وأحرارا لمعالجة الأمة التي انتهت بانتهاه مخاض أليم انتهى بمخاض زوجته التي عاد إليها فكانت تلك عودة الوعي، فقد أحمره مصطفى في التلفون أن زوجته في المستشفى، في قسم الولادات - وحينئذ فقط تذكر أنه زوج وأب وإن مزيدا من الأبوة ينتظره...

"الطفولة المعذبة والأحلام الوردية"

لحفيظة القاسمي

بقلم : طارق العمراوي

إنَّ نصَّ "البحث عن مدينة الرِّم" هذه المجموعة القصصية للأديبة حفيظة القاسمي ميزته أطروحاته الواقعية، نقلها للحظات ومواقف حياته بواقعية حادة غذتها لغة سلسة، حاملة، متمردة، تناشد الإفصاح عن مضامين واشكاليات معينة ضورا لكن أضوارا أخرى يكون التخفي وراء أسرار اللغة، تخلق بالجملة ودائعها تاركة سحر السؤال وعمق الأسرار كي لا يتحوّل النص إلى بحث اجتماعي، سوسيولوجي جاف ومباشر.

فص حفيظة القاسمي الذي بين أيدينا كانت الطفولة فيه فرحة كبرى، عبثا، حيرة وتأزما. أحلاما وانكسارات ومعطيات أخرى حاولت توزيعها كما يلي:

الطفولة كسب عيشي غير مسؤول، الطفولة كسب متفهم واع ومسؤول ثم الجسد كسبة ومعطى مادي قائم بذاته، مستقل بتعاييره وخصوصياته.

- الطفولة كسب عيشي غير مسؤول كانت الانطلاقة الأولى في المجموعة القصصية وفي القصة الأولى "ثقب الدائرة" وهواية أحد الأطفال المهووس "بفكرة ثقب الأشياء، قربة، سطلا..." عين قط أو دجاجة والآخر كيف يصنع التراب مع البعّة" حاولت صغيرا أن أجعل حداثتي تكف عن سفها فكنت أحلّطها خفية بالتراب"... تبادل الضحكات والشيطنة، البحث عن أفكار جهنمية، حفلات الزواج الطفولي، احتطاف اللحم وإخفاؤه في الجيوب في الأعراس والاحتفالات، اللعب في القبولة، اتساع الثياب والتوعد بالعقاب...

كل هذه الصور وغيرها قدمتها الأدبية حفيظة القاسمي بلغة وعلى شاكلة مواقف تجعلك تسافر معها، تعيش من جديد تلك الفترة الجميلة في حياة كل منا حتى كانت إحدى من أهدت إليهن هذا النص "إلى طفولتي"، لكن عندما نكون الطفولة معذبة بظروفها القاسية، معذبة ومحرومة من عيش طفولتها كما يلزم فتلك مسألة أخرى، قدمتها حفيظة القاسمي برؤية ثاقبة كي يساهم الكل من موقعه كي يعيش كل فرد منا طفولته، كي لا تفقد في عمر لاحق وتعاود الكرة.

- الطفولة كسنة متفهم، واع ومسؤول عوض العبث واللعب اللامتناهي وبلا حدود، مسؤولية أكبر توكل إلى هذا الكائن الهش، يتحملها، تفرض عليه، يرثها مع كل ثقلها فتحرمه سنة ثم دراسته، ترمي به في أحضان العمل وبؤسه، العمل دون السن القانونية: جمع ثمار الزعرور من الغابة، غسل بعض الألبسة "لمن ترفهت أحوالهم" لتواصل تصوير مشهد العمل الشاق وظروفه إذ تقول الكاتبة في قصة "زينب" وقد انعكس بكون استثنان مع مجموعة من الشبان لخلط الرمل والاسمنت، فأحمل الماء، أو سطل الخليط أو أوقد النار تحت براد الشاي وأوزعه على الكؤوس وكان الجميع ينهرونني بادئ الأمر" (ص 74 و 75) في حين تبكي الأم ويتنهد الأب.

فحرامها من الدراسة وهي إحدى أهم عذابات الأم وزينب التي تكابر حين تقول لأمها "لا تهتمي، فالدراسة ليست هدفي الأول" جعلها لا تشارك أخوتها الحديث وتحرم من المناقشة وإبداء الرأي في بيت غزته النظريات وباتت المناقشات العلمية والأدبية زاده الأول فيقال لها: "فإذا صادف أن تدخلت وأبدت رأياً... سمعت التعليقات تتواتر : أصميتي... أصميتي... ماذا تعرفين عن الفلسفة ؟ ماذا تدركين من أمور العلم والعلماء ؟؟ ... فأخفي رأسي وأردد "صدقتم ماذا يمكن لخريجة الحياة أن تدرك من معارف خريجي المعاهد والكليات" (ص 76).

لتواصل حفيظة القاسمي تصويرها لعالم الحرمان والطفولة المعذبة في حادثة سرقة نقود الأب وقبلها أين جسدت حيرة الأطفال وكيف يتحوّل التبغ إلى نقود "قنبيت الليالي تنخيل، ونحلم كيف تتحول الأوراق الحمراء على قطع من الحديد" ثم تقول عن مشهد الانتظار الذي طال "ونقعى كالجراد ننتظر، ويصعد بعضنا إلى أعلى شجرة المشمش أو الزيتون، ويهز أغصانها نزولا وارتفاعا... ويصوب النظر إلى هناك... حيث الجنة ستفتح أبوابها بين لحظة وأخرى" (ص 73) هذه الدنانير التي تساوي ثروة العائلة، ضاعت، سرقت ومعها أحلامهم وأشياء جميلة تخيلوها ملتصقة بعالمهم الطفولي النقي، سرق الفرح والعبث إذ تقول "نسيت عبثي وضل الفرح طريقه إليّ فتناستني الأفراح" كما نسيت أنها فتاة "يجب أن تحلم مثل بقية الفتيات بأكاليل الزهور تاجا وفرحا وبدغدغة النهود تتعطر بالأنوثة" على لسان زينب في قصة "زينب" لكن يظل الحلم ورديا، يظل يحلّى فوق الحرمان والتعذيب حتى كبر الأطفال وانفجرت أحلامهم وتفرجوا وتحسنت الأحوال على لسان زينب البضلة لكن تطفو الطفولة المتكسدة من الحديد على الساحة لكن ينجح وسرية استطاعت أن تقدمها حفيظة القاسمي في طبق فرجوي يخترق بدوره عواطفك وأحاسيسك فتتهزّز عنده جراحك وماضيك وهل تتقاطع معها أم أن طفولتك سيمية عشتها دون حرمان أو عذابات تطفو من وعند كل الجهات إذ تقول "ثم أنزوي في غرفتي - عالمي المفضل فأفتح صندوقا، أخرج منه عروسا من الخطب، وكراسات قديمة، وبعض الأشكال والألوان... فيشرح صدري، وتتشرد عن سمائي العيوم، فأرتب... وأصور... وأشكل... وملؤني فرح كبير... فرح طفلة يعبث الريح بثوبها، فتجاريه... فأنسى العالم من حولي... ولا أنتبه حتى أسمع ضراقات الباب تدعوني للعشاء" (ص 76) لتتعذب الطفولة مرتين في الأولى لم تعش لحظات العبث والفرح كما عاشها باقي الأطفال، تحملت مسؤولية أرهاقتها حد الإعياء لكن تظل تلك اللحظات تطاردها كحلقات لم تكتمل فعاود الظهور

لكن خفية وهذا عذاب ثان أظنه أقصى من الأول: الطفولة المتأخرة، الممتدة نفسيا على حساب الشباب أو الكهولة كالمرحلة المتأخرة وانعكاساتها النفسية والسوسولوجية الخطيرة.

أما الطفولة والتربية التي غالبا ما ينجهل الكثير عنها بل وتتجاهل انعكاساتها على شخصية الطفل فينا فلا نستمع إليه، توكل تربيته للأم غالبا حتى تقول الكاتبة على لسان إحدى أبطالها "اهتممت به أول ولادته كاهتمام أي أب يرى طفله الأول ثم أسنمت أمره لزوجتي" أشرف بعد ذلك على تعليمه، لكن برقابة مفرطة أساءت إليه، سرق نص الإملاء، ثم تمجهم على استاذة فأطرد بعد ذلك لتكون لحظة تقييم لتجربته مع اولاده غيرت من سلوكاته. تأكد أنه أب لم تنضج أبوته وعند مرضه حاول الاقتراب كثيرا من عائلته، حادثهم، يتعامل مع الصغيرة بعد أن استعد لضرب ابنه عندما تأخر عن المجيء والرجوع لبيت والديه.

وعن الجسد كلغة ومعطى مادي قائم بذاته مستقل بتعبيره وخصوصياته، جسد ينمو، توجب رعايته وتفهمه لا التصادم معه هذا الصدام وهذه المواجهة خفت وخلف في الذاكرة شرحا وصورا مشوهة، تسافر معنا، تخزن في الذاكرة وتحضر في لا وعينا ووعينا أحيانا فتؤثر فيه وقد أوردت الكاتبة لحظتين أوقفتهما للاعتبار والدّرس أولهما خاص بالفتيات اللاتي يختلطن بالأولاد وانعكاساتها الجسدية الخطيرة ألحق بالفئة مرضا عضال عندما تقول " ولم يعرف أحد أبي كنت أجمع أصدقائي من الذكور ليضغطوا على صدري النائي قليلا ليتساوى مثل صديريهم" أما الصورة الثانية فهي حادة، مؤثرة وخطيرة، إذ تقول وصورة من طفولتي تظل حرجة محولة كانت أمي قد حرمت علي اللعب مع الأطفال قالت يومها إنني أختلف عنهم ولم أفهم وقلت بعناد سألعب مادام أخي يلعب معهم وأمسكت بخدي فقرصتني بشدة ثم نادى أخي عرتنا وأشارت إلى أسفلنا ورددت بفصيح: لست مثله. أنظري إنه رجل وأنت من أنت؟؟ أنثى، أنثى

يجب أن تستر عورتها واستولى عليّ الذهول ولم أعد أسمع شيئاً وكلّ ما أذكره بعد ذلك اليوم أنّي لازمت الفراش مدّة طويلة وكرهت أخي وقرّرت أن أكون أفضل منه في كلّ شيء" (ص 49) لتتعبّد الطفولة مرّة أخرى : تنكسر على عتبات الفكر المتكلس، تفاليدنا الفكرية التي طالما ظلمت الأتني، همشتها. لكن الحلم والأحلام مثل قرارها أو تكون أفضل من أخيها هو السقف الذي يبتعد كلّما اقتربنا، نحلم ونحن أطفال بعالم آخر لكن ونحن كبار نقي معذبين بذكريات قاسية ولحظات قاتلة.

هكذا إذا قدمت حفيظة القاسمي الطفولة في نصها "البحث عن مدينة الرّم" كلحظة غمو، كلحظات فرح وعبث طفولي جميل، كلحظة جسد تتدخل فيه الطبيعة والإنسان بشيء من التعذيب والقهر، كلحظات حرمان لكن يظلّ الحلم يراد كلّ فكر وكلّ لحظة، يخترق المسافات والحدود، الواقع والأمني، يحضر لحظات الانكسار والهزيمة، يرافق أبطال قصصها في كلّ الزوايا والأمكنة مع اشكاليات أخرى لا يمكننا طمسها أو التغافل عنها لأنّ المؤكّد أنّ الكتابة لم يكن حاجسها الأوّل الطفولة برغم امتدادها طيلة القصص التي تمثّل مجموعة نصها "البحث عن مدينة الرّم".

إنّ هذا المولود الجديد رمز للأمل، للاستمرارية يجسّمه قول زوجته "مبارك عليك وليّ العهد" واسمه "سمير" رمز من رموز التفاؤل سمير، هذا المولود المنبثق من أرحام القلق والخوف والإحباط من صلب سندباد معنّى مرتحل تائه باحث عن نشوة اليقين والإقرار. لقد كان هذا المولود الجديد أمانة هدت الزّورق الضائع في عرض أليم في ليلة عاصفة مقفرة من ليالي الشّتاء المحتاح في زمن القحط والجفاف - إنها بداية الهداية من الضلال، وعودة الوعي المفقود، ومناسبة للتصالح مع أفراد الأسرة الذين نعموا عليه وهو الأب المتنكّر فحملوه مسؤولية هجرهم ونسيانهم.

لله ما أحلى الطفولة

شعر : فرحات عروبة

ومغضي السنون بالمواقع تقطر
تسافر في دنيا الفناء تخرج
تناشد عزّ النفس والقلب مائل
هي الوجود والوجود تبعثر
ففيها طفولتي وروح صبايا
وعهد نقاء يستفيض ويكرم
براءة أطفال عذوبة أقوال
وعزّ هي باللطائف ويسحر
فأين الأجيال الصغار بطهرهم؟
وأين الغوالي والأخلاء مطهر
وأين لقاءات السعادة مطمح؟
تضمّ البراءة بالمسرات تزخر
وأين الأماشي بالمراتع والبطاح؟
تشدّ الجميع تستطيب وتعمّر
لهونا مع الفراش جرياً ومصيداً
وحينا مع النحل الأنيق نعطر
صباحاً مساء لا نبالي بأتعاب
نسابق أسراب الطيور ونفخر
وكم من مجالس ينبع تفرقت
بسحر الطفولة تستزيد وتبهـر

وكم من بقاع استفاحت بأطياب
 تثير محاسن الحديث وتشر
 هي النبع للنفوس أحلى تذكر
 يفيض بحلو الذكريات وبأسر
 فله ما أنقى الطفولة حقبة
 تشع طهارة ونبلًا وتسفر
 لقد كان فينا استباق وجرة
 وشعلة إحساس رقيق يعبر
 هو الكون فينا بالشقاوة مرتع
 يحطم أحلاما يشرّد يقير
 فأمسي الكلام غائما ذا قضاة
 بشتى أكاذيب التملق يسفر
 وصاروا ألفوا دأبهم صلابة <http://www.alukah.net>
 يطول يصول يستسيغ ويمكر
 فإن الطفولة الجميلة محمد
 تصافي إلى حد نفوسا وتعير
 لقد غابت الأحلام كلاً بخسها
 فأمست خيالات تمرّ وتذكر
 فله ما أحلى زمان الفتوة
 حنينًا وطهرا مستفيضًا يقتر
 فأرجو من الزمان صلحا وموعدا
 لتمجيد أذكاري فأرنو وأفخر



حوار وقصيدة

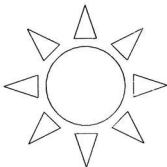
شعر : محمد علي عبد العال

يا مهجة الروح قد نلنا أمانينا
والحبّ جمع ما بين المحبينا
يا كم تمنيت هذا اليوم يجمعنا
كي نسعد القلب والآمال تحبينا
يا مهجة الروح وافينا على قدر
من بعد عهد حرمنا من تلاقينا
ما ضحك الآن لو عوْضت بمالقة <http://www.archive.org>
من الليالي التي أقصت تدانينا
أتطلبين من الأشعار أمجها
هل يعرف الفرّح قلب بات محزونا
إنّ تطلب الشعر عذبا صافيا أرجا.
أسلمتك القلب كي يصفو فيرونا
هناك ترقص أنغامى على وتر
يستلهم الشعر عذبا مشرقا فينا
وسوف أسلو طريقا ضاع من قدمي

وأجتلي غيره دربا فيهدينا
فتغرك المشرق البسام يسعدني
وخفة الظل في مرآك تحدونا

* * *

سيحمل الشعر أفراحي وينشرها
فكم عقيم القوافي كان يعيينا
واليوم تنساب أشعاري على قلبي
فأصدق الشعر ما عشناه يعطينا
وليس هذا أوان اشعر في ورق
هاتي فؤادك هاتي النغم يروينا



آخِرُ الوَصَايَا

شعر : محبوب الطرابلسي

وَلَيْكُنْ... غَرِيبًا

جِئْتُ إِلَى هَذِهِ الدُّنْيَا وَحِيدًا

وَمَا مَدَّتْ يَدِي إِلَى رَفِيقٍ

لَا صَدِيقٍ... لَا صَدِيقٍ... لَا صَدِيقٍ

أَنْتَ وَحْدَكَ... كُنْتَ وَحْدِي

يَا بُنَيَّ كُنْتَ وَحْدِي

هَشَمْتَ جَمِيعَ الْمَرَايَا

وَسَقَطَتْ كُلُّ الْأَقْنَعَةِ.

مَارِدًا كُنْتُ... مَا زِنْتُ أَنْتَ

لَكَ الطَّرِيقَ وَلِي شِعْرِي صَدِيقٍ

فَهَرَّ لِهَذَا الزَّمَنِ الرَّدِيُّ

وَلَا قَاهِرَ كَلَّمِ صَادِقٍ صَدُوقٍ

اذهب وارجم شياطين الكلام
والعن من لا يدق عنق الرغبة فيه
إلى الدنيا ! ..

* * *

هي آخر وصية تأتي إليك
من رحم الدنيا والخراب

باق وهذا السفر ما ترث

وما ترث الغرب

في أرض الأفاعي

والسعير ! ..

فلا تنظر عودة الفلك إليك

فلتبجر وحدك

لمدينة العشق والشعراء

* * *

خذ رسائل الحب يا ولدي

وَتَحْلِقُ مِثْلَ التَّوَارِسِ

فِي الرَّبِيعِ

هِيَ آخِرُ وَصِيَّةٍ تَأْتِي

إِلَيْكَ يَا وَلَدِي! ..

ازْرِعِ الْوَرْدَ الْمُقَفَّى

فِي بِلَادِ الْحُزَنِ وَالْغُرَبَاءِ

وَاتَّبِعْ خُطَايَ

وَحُطِّي الْكَرَامَ فِي أَرْضِ اللَّثَامِ

وَأَعِدْ لِلصَّبِيِّ أَيَّامَهُ

وَاحْذَرِ مَنْ لَا يُغْنِي

لِلصَّقِيعِ

هِيَ آخِرُ الْأَغْنِيَاتِ

مَا تَرِثُ وَبِرِثُ

الْغَرِيبُ فِي بِلَادِ السَّعِيرِ

وَعُرْبَةُ الشَّعْرَاءِ

نصف رجل متعولم

شعر : فلة ميهوب شوشان

يَا أَنْتَ.....الَّذِي

فَتَحْتَ لَكَ الْجَوَازَ....لِتَحْتَازَ

اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ.....

يَتَبَادَلَانِ الْوَقْتَ

وَأَنْتَ ذَكَرْتُ وَأُنْشَى

فِي نَفْسِ الْوَقْتِ

يَا بَصْفَ لَيْتَ

<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

مُلُوثٌ بِرَبْعِ هَوِيَّةٍ تَعُولَمْتُ وَمَا تَعَلَّمْتُ كَيْفَ....

تَحْتَفِظُ بِمَا عَادَ بَقِيَّةُ

فَعُدْتُ ذَكَرًا فِي صُورَةٍ

عُرُوسِ كَرْنِفَالٍ بِلَا....شَخْصِيَّةٍ

صَرَفْتُ الْمَاضِي فِي الْحَاضِرِ

وَالنَّاتِجُ غَيْرُ مَرْضِيَّةٍ

أَزَلْتُ عَقَارِبَ السَّاعَةِ.....

فَلَعَنْتُكَ الْإِنْسَانِيَّةُ.....

خَلَعْتُ بُرْنِسَ الرِّاءِ فَمَاتَ الرَّجُولَةُ

وَبَقِيَتْ وَهِيَ نَيْنٌ.....
 خَلَايَا الْعَوْلَمَةِ ضَحِيَّةُ
 عَصَرَتِ الْعَصْرَ
 حَتَّى سَيِّدِ الْعَسْرِ صُرَتْ
 هَنِيئَةً لَا تُسْتَعْجَلُ الْمَوْتُ
 أَبْقَى عَلَى صَهِيلِ جَوَادٍ مِنْ خَلَوَى
 سَرَجَةٍ مِنْ وَرَقٍ
 قُوَّتُهُ مِنْ ثُلُجٍ حَتَّى اخْتَنَقُ
 سُؤَالَ فِي ثَلَاثِ
 حَتَّى تَفْتَرِقَ
 ثُمَّ أَمْضَى... أَمْضَى إِنْ اسْتَطَاعَ
 الثُّلُجُ أَنْ يَنْطَلِقَ
 يَا أَيُّهَا الْوَجْهُ الْمَذْبُوحُ
 كَانَتْ الرِّاءُ تَرْفَعُكَ
 تَرْفَعُكَ رَايَةً
 فَرَمَيْتَ بِهَا فِي رَتْنِكَ
 تَبْطِرُهَا... تَبْطِرُ بِهَا
 صَحْبَةَ أَنْاسٍ مَلَوْنَةٍ
 تُقْلَدُ، تَتَكَرَّرُ ثُمَّ تُلْقَى بِهَا

عَلَى خَائَةِ فِي مَهَبٍ رِيحٍ
لِتَفُوزَ بِلِقَابٍ فِي التَّرَحُّقِ
جَاءَنَا الْبَيَّانُ... يَقُولُ
إِنَّكَ بَاطِلٌ فِي....

وَالشَّهَادَةُ الْغَيْتُ
فَضَلَلْتُ وَظَلَمْتُ مَنْ دُونِ
زَاءٍ وَبِدُونِ رَتْنَيْنِ
رَمَيْتُ بِالْجِيمِ لِلْجَحِيمِ
فَصَبِرْتُ هَبْكَلاً عَظَمِيَا عَارِ

ARCHIVE
http://ArchCebeta.Sakip.it.com

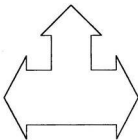
ذِي وَجْهِ بِلَا وَجْهَةٍ
وَحُرْسِ أَمَلِكِ يَتَأَرْجَحُ
فِي أُذُنِ صَمَاءٍ
حَرَامٌ أَنْ تَحْتَضِنَكَ الزَّيْتُونَةُ
فَتَجْعَلَهَا..... لَا تُزْهِرُ
وَأَنْ تُهْدِيكَ زُهُورًا
تَتَفَرَّغُ مِنَ الْأَزْهَرِ
تُدُوسُ عَجُوزًا تَرْحَفُ
وَتُنَادِي اللَّهَ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ
وَلَا لَوْمْ عَلَى اللَّامِ

إِنَّ هَجْرَتَكَ....وَلَمْ تُقْتَلْ
لَأَنَّكَ مِنْ دُونِهِمْ... لَا شَيْءَ بِهِ تَتَحَمَّلُ
فَبَرَنْسُ الْحَرِّ رَاءَ

وَجِيمَ وَلَا مِ
بِهِمْ عَلَى الْأَعْنَاقِ تُحْمَلُ
لَا عِلْكَةَ وَخَصْلَةَ شَعْرٍ
مَصْبُوغَةً وَتَتَدَلَّى إِلَى الْأَسْفَلِ
وَعَقْدُ، وَخَرَسَ، وَخُمُولٌ خَاوٍ
بِهِ عَلَى الْأَحْبَابِ نَسْأَلُ....

فَيَمُوتُ الصَّوْتُ عَلَى الْأَسْلَافِ
وَتَضِيْعُ عَلَى هَامِشٍ

الْأَبْوَابِ حِينَ الْأَبْوَابُ تُقْفَلُ
حِينَ الْأَبْوَابُ تَنْقَلُ



بغداد لم ترحل من الذاكرة

شعر : عمر عبد الله الكثراري

تَبَسَّمَ الصَّبَحَ والعصفور مهذارُ
وازدانت الأرض في بغداد وارتفعتُ
هل أبلغ الرِّبْعُ أن الأرض رائقة
ترفق الظلَّ في بغداد منبسطة
ومارسَ الطلَّ ما يهواه فارتعشت
وهشَّ للعين والوجدان نوارُ
كفَّ الجميل نحيي كلَّ من زاروا
فارتاحت النفس للأجواء والذَّارُ
وأهدت الرُّوحَ للأيام أشجارُ
منه الشفاء وعُصَّتْ منه أبصارُ

ومرَّ كالحلم والأعوام جارية
عاج البهيَّ على الأطلال يسألها
من أخرج البذرَ حتى صار ملتحقاً
إلا متى شرقت بالدمع نائحة
لو أدرك البد أن الشمس قادمة
لكنه العود قد يعطيه ثانية
فصلُ العطاء له يشاق آذارُ...
فأصغت الأذن والتاريخ أسمارُ:
سودَّ السُّخائب لا تغريه أنوارُ؟
واشتدَّ بالرأس في بغداد دوارُ
لم يحتجب قطَّ وأخفته أسوارُ
وقت الظهور إذا ساقته أقدارُ

أعددت للسيف سندانا ومطرقة
سلَّ كوفة التحو عن عنوان من لحنوا
من علم السَّحر للأعراب في زمن
من أطرب الذَّهرَ حتى صار منشده
توعَّد السَّوطَ ظهراً لا يقوسه
هل بات للسيف والسياف أنصارُ؟
كفي يعلم القومُ أن العلم أمصارُ
سنَّ المحارم والأنصار أحبارُ
بوش الصغير أم المعزاة و "الفار"
جذب السنين ولا تخنيه أعمارُ

فسفَهَ الحلم من بانث نواجهه وأضرم النار من في قلبه نارُ
من بعد ما رقصت بغداد واحتفلت قد كثرَ الذهر والأيام أذوارُ
دلس "العلوج" على أحداث من شرفوا هل وطأة العليج للأجساد إثارُ؟

* * *

تطوَّع الفأر للتاريخ ينهشه وأسند الظهر للشيطان سمسارُ
دعاه للرقث في الأوطان نادية فأصبح الذلّ يستهويه والعارُ
لو أن قارون في دنياه عائله لأقفر الجيب ذا البلعوم جبارُ
بعد الأسود علا في الأرض "ياورها" وأطرب النمل في البيداء صرارُ
توسل القط للجرذان يسألها لقيمة الخبز فاغثاته أنظارُ
يترجم الذمّع في العينين حزنهما وتمسح الذمّع بالعينين أخبارُ
فتسرق الشهم من رمضاء مخنته ويفصل النصّر عن نعليه أشبارُ
يا راكب الذهر لا تأمن غوائله قد يجمع الذهر إن الذهر غدارُ
إن شدك الوعد واستبقتك مكرمة مازال للبرد في بغداد أزرارُ

لقد كانت عودة عمر إلى البيت وخروج عثمان من السجن حدثين مترامين
يدوان كبادرة فرج وانفراج، وكأنما عمر يسترجع صحته بعد اعتلال خطير، غير أنه
ما زال في بداية فترة التقاه يعاوده الانتكاس ويعود إليه السقم بأشدّ وطأة مما كان
عليه، فيزهده من جديد في كلّ شيء ويرغب عن الدنيا - كذا هي انتكاسة المريض
تكون دوماً أشدّ من العلة، ويجد في مناقشته مع عثمان مرارة يرتاح لها كما يرتاح
طريح العلة لمرارة الدواء أو يستلذ الجريح آلام البلسم حين تضמיד جرحه المقرح
المتعفن النازف قيحا، غير أنّ ما يثيره من مواضيع وتمايل وأراء وانطباعات ومناقشات
وحوارات وتعليقات ينكأ في نفسه جراحا عميقة لم تندمل بعد، وتستمر نفسه ذاك
العذاب فتستكين لآله يشعر من يضغط على دمل خبيث في جسده فتختلط لديه
اللذة بالآلام والأوجاع والقرق.

نبوءة تر وبادور

شعر : حاوك عيسى

نبوءة أولى:

أراك تعتصر خمرة الروح

وأرى الطير من حولي

وستدخل سجن الأمانى

فهل تنبئ عن أشجانى؟

أغنية :

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

لم يثن قطاقها

ونسوة فى الحى

يزاورن حين يلوح بدر حزين

يلكن خطايا السنين

ودوالى الحنين

شدت أفناها سكاكين الشهوة

وما غير المرارة المرتجاة

تفتح الكون تفاحة

وثليس سراديق النفس

جُبة الانصياح

*تبوءة ثانية:

عرافة القهر قالت:

سيسألونك عن الراح

ومن أيقظ تلك المهج

وقبل أن ترفعك الصلوات

ستلبس ثوب الحداد

أغنية

في غيابات الحرف

اختتمرت أقداري

ورؤياي التي تعبرني

فاضت معانيها

لما كهنة الحيّ

سفهوا أحلامي

ورنت إليكِ

أطيا في حبلى

حين رأيت في المنام

إني أغرس نخلة

ابهار

شعر : البشير التلمودي

إلى صاد... جيم... عشقا ووفاء

الز لزال الذي ضربني دون سابق إعلام...

... زعزعني عني..

.. هدّ كلّ كياني...

... ورمى بي وسط دوامة العذاب اللّذيد

تأتين هكذا كنسمة صيف مسائيّة...

تحتازين أسواري الشائكة...

تخترقين مناطقني الملتهبة...

ترشين على جراحي القديمة...

رذاذ الحبّ الأزلي...

تنفخين في رمادي القديم...

توجّحين نيران الوجد في عروقي الضامئة...

... وترحلين!

ماذا فعلت...

حتّى تغيري اتجاه بوصلتي

حتّى أنبهر بجمالكَ السّرمدى؟

وأغرق في عينيكِ الرائعتين...
أعانق وجهكِ الخمرى...
وأرتمي جريحاً على عتبات محرابكِ القدسي؟
ماذا فعلت حتى...
أسلم كل مفاتيح أسرارى...
وعواظفى...
وهيامى...؟
من زرعك شمعة ملتهبة على دربي المنهار...
يا أعذب امرأة عرفت؟
لماذا عملت على حرق أشروعتي؟
لماذا عملت على كسر أجنحتي؟
ماذا فعلت... حتى
أنبهر بعطركِ الفياض...
عطركِ الذي طوقني ليلة كاملة على بساط من
عذاب!

.....
يا آيتها الآتية من لا أعرف من أين؟
دعيني أستحِمّ في شذاك...
حتى أنطهرّ عشقا...

وأعود إلى منابعي الأولى...

فأنت سفيني الضائعة...

وبساط أحلامي المخنونة...

ما أتمناه...

هو أن يكون الزلزال قد أصابك أنت أيضا...

وأثر فيك تأثيرا ساحرا...

وسبب لك أوجاعا وردية...

فأنا...

أحب أن يجمعنا الأم...

مثلما يجمعنا الحب...

دعيني أنظر إليك يا حبيبي

يا أروع امرأة عرفت...

يا بركاني المنزلزل...

دعيني أشدّ على يديك الناعمتين...

وأغرق في عمق عينيك الحلوتين...

وأرحل عبر أنغام صوتك العذب...

دعيني أضمّك بكلّ قواي إلى صدري...

وأمرّر يدي على شعرك المخملي...

وأسكر برحيق شفتيك الرائعتين...

ليلة البارحة... نمت على حجر الحرمان
والشوق إلى خيالك السّاحر...
أعدتُ على قلبي كلّ ما قلناه من عبارات
مجنونة...

أعدت للمرأة الألف... قبلتنا الخالدة...
طواني سحرها...

طار بي إلى حيث خيالك المسافر كالخلم..
نحو عذاب عذب مبلّل بالدموع.
... يا آيتها السّاحرة...

يا ملهمني المسافرة..
دعيني أحبك كما أشاء...
http://Archivebeta.Sakhril.com

دعيني ابحث عن نقطة للبدء..
لأحبك كلّ يوم أكثر
وما بعد الإنتهاء...

والمستحيل هو أن نجهل...
ما قبل البدء

وما بعد الانتهاء...

والمستحيل هو أن لا نلتقي
... لأنه الحبّ يا عزيزتي!...

الْوَحْمُ

تأليف : عادل محفوظي

الليّلة شتائيّة باردة...المطر
يتهاطل بغزارة والظلام أسدل تسائره
على الكون. انحاز إلى أقصى يمين
الطريق يدفع بكل قواه عجلته الهوائية
يكاد يرتطم بالرصيف خوفاً من بعض
السوّاق المتهوّرين من جهة وانعدام
التنوير بالطريق من جهة أخرى فهو لم
يتعود الرجوع من عمله في هذه
الساعة المتأخرة من الليل غير أن فتاة
"الرحم" أرغمت أم الحمد أن تلتح عليه
ملقى على قارعة الطريق.

منذ البارحة بأن يجلب معه "دوّارة"
(1) لتطبخ كسكساً "بالعصبان" (2).

كانت حبات انظر نصفه على
جيبته وخديّه ثم تنساب إلى الدّاخل
غير تجاعيد وجهه فتلسع جسمه
الدافئ في حين كان هو يتلذذ وقعها
على غطاء رأسه ومعطفه البلاستيكي

فتحدث ريننا جذّاباً متكرّراً يجعله في
كلّ مرّة يحمد الله على هذا الغيث
النافع... ظلّ هكذا منذ مغادرته دكان

المرور وبعد أن أعطى تعليماته إلى
دوريات النجدة وقف الضابط يصيح
غاضباً في وجه السائق المتهوّر الذي
كان متسمّراً في مكانه يرتعف من
شدّة الخوف وهول المفاجأة...

- كيف تتجرأ بأن تصدم الرجل
بسيارتك وتهرب...؟
- أبدا سيدي الضابط أنا لم أهرب ما
جئت هنا إلّا لأعلمكم بما حصل...!

- ما فائدة ذلك ما لم تحمله إلى وهي تنطابر منتشرة تغمر زجاج المستشفى...؟
سيارتي الأمامي... ورأى...
- لقد تملكني الخوف والرعب سيدي وما كاد ينهي كلامه حتى دخل الضابط وكنت أخشى أن يضربني المصاب صلبة أعوان النجدة صانحة المارة والمتطفلون... يا إلهي إنه أول غاضبا متوعدا هذه الشرذمة من حادث مرور في حياتي... يا للمصيبة السواق المتهورين الذين أتلغوا إنه شنيع... لقد رأيت بأمر عيني أمعائه "دوارته" وأجلوا "وحم" زوجته...

الأديب هو قلب الشعب النابض وضمير الأمة الحي

بتأثير معاني هذه الكلمات نستطيع أن نطالع مقالات الأديب التونسي رشيد النواوي في كتابه (إشارات أدبية).

ففي الأدب الذي نريده يقول: "الأدب الحق في نظري هو ما عبر عن حاجات النفس وغطت فيه معاني الرجولة. وصور الواقع الاجتماعي تصويرا صادقا".

والمعنى الكامن في هذه الكلمات - في رأيي - إن الكتابة الخالدة لا تولد بغير أب أو أم. فالأب للكاتب والأُم هو المجتمع والأب كما نعرفه عبر عصور التاريخ هو القدوة.. هو المسؤول.. هو الذي يتحمل التبعة... هو الذي ينبغي أن يكون المعلم الأول. بمعنى أن كل مسؤوليات الأب تجتمع في الكاتب لأنه قدوة في المجتمع الذي يعيش فيه، والأُم هي التي تشبع الحاجات المادية والمعنوية، أي هي المجتمع الذي يغذى الكاتب بموضوعاته وأفكاره، وتناقضاته ومشاكله، لتخرج لنا الكتابة صادقة معبرة، مرآة لصاحبها الأب والأم، لا بد عندئذ أن يكتب لها الخلود لأنها تعبر في صدق عن واقع ما، في زمن، ما في مجتمع ما، أي أنها تشكل حلقة من حلقات هذا المجتمع الإنساني.

المعراج

بقلم: أنور البصري

" كلّ أهلنا في القرية ضاقوا ذرعا بالسيد عبد الجبار. أباد الحرث والنسل أو اتّخذ ملك يمينه وما من رادع له سوى الطوفان أو الزلزال.." كانت هذه عبارة جدي قبل أن يغمض عينيه للقاء ربه، نطقها بصوت مرتعش ليطلق بعدها حشرجة ويخرج من هذه الدنيا بعد أن عاش داخلها سنوات عديدة انتهت كما بدأت.

عندما فتحتُ عيني على الدنيا اكتشفت قامته المديدة وضحكاته الغريبة.. وابتسامته الساخرة من الحياة. وهي ابتسامة لم أفهم معناها إلا بعد أن بدأت أفهم أكثر.

لم يكن جدي أوّل الموتى ولا آخرهم غير أننا بكيّنا كثيرا... قريتنا التي، أحبته بدت كثيفة وثقيلة عندما ظهرت جنازته البسيطة بلا مراسم ولا معزين وأرته الثرى وعادت لتواصل مسيرة الشقاء التي بدأها. عدنا لتواصل مسيرة الشقاء التي بدأها. خراصة الأرض وجمع محصول الزيتون، لتدخل مخازن السيد ونخرج نحن بشقائنا وعرقنا ونحمد الله. السيد تجاهل موت الجدّ ولم يكلف نفسه أو حتّى بعض أعوانه تقديم التعازي أو حتّى مجرد المواساة.

لم يسأل عنه كذلك وتلك من نعم الله التي نحمده عليها كثيرا فلو فعل ذلك لا قطع من أجورنا أموالا تعويضا عن كرمه الكبير...

صورة جدي بيرنسه البالي وخرقته القديمة، تجاعيد وجهه وقد خطت عليها صفحات الليالي الباردة بصقيعها وشموس الصيف الحارة، أسنانه المتهدمة وقد زادت أثار التبغ الرخيص والشاي المعقود من تصدعها...كلها صور ما تزال حاضرة في خيالي.

كنا نتحلق حوله بعد صلاة المغرب ليقصّ علينا الحكايات التي لا أمل لنا في سماع غيرها...ومع ذلك فقد ظلّ يشدنا إليه بأسلوبه المشوق. يتنحنح ويقول :

- "أحدثكم عن راس الغول وسيدنا علي، تلك حكاية حفظتموها، ولا شكّ غير أنّه لا أحد منكم استطاع تحقيقها!"

كنت في تلك السنوات لا أفهم معنى أن يتحوّل الواحد منا من مستمع إلى حكاية ليصير بطلا في ثناياها حتّى جاءت حكاية ابن آدم.

حكاية ابن آدم والخنش والذئب...والأسد. الذين كانوا قد سقطوا في البئر وجاءهم أحدهم نظر في البئر فوجد أنّهم بداخله أربعة...كلّ واحد منهم يطلب النجاة فلمّا ألقى طوق النجاة الأوّل امتطاه الأسد وخرج وأعطى إلى المنقذ حصلة من شعره جزاء لإنقاذه وقال له :

- "عندما نحسّ بالخطر يوما أحرقه وأنا آتي إليك أساعدك ولكن إياك ثمّ إياك أن تخرج الآدمي من البئر..."

حتّى يصل إلى آخر الخرافة التي تنتهي ابن آدم..
عندما ختم الحكاية قال :

- "إنّها حكاية قريتنا التي تكتشفونها بعد منام عميي..."

الآن وقد دقت هذه الجملة في رأسي عدت إلى صندوقه الخشبي الذي كان لا يفتح إلا نادرا، ليدسّ بداخله أوراقه الصفراء ويضع المفتاح في سترته

بين هندامه وجلده ويحرص على أن لا يقترب منه أحد. صغارنا يداعبونه ويحاولون إلا أنه ينهرهم بشدة وغلظة لم نعرفها فيه. ربّما أنّها وصيته أو خلاصة تجربته مع الحياة. لماذا كان يخفي الصندوق والمفتاح عن أنظارنا ويجهد في بقائها مواتا ما دام حيا...

لم أنتظر مرور أيام العزاء تسللت إلى غرفته فلاحته لي هذه الكلمات...
"من أوراق جدي إلى أولادي وأحفادي..."

أوصيكم بالمعراج إلى الغيوم فهي أصلنا ومنبع الخير في قريتنا لولاهما لما كان في الأرض الحياة... إن استطعتم أن تصعدوا قمة الجبل فافعلوا عساكم تمّدوا أيديكم إلى السحاب وتغيروها عني بعد التحية والسلام. أن "السيد" قد طغى وأنّ عليه أن يعود إلى الحق، والعاقبة لمن اتقى...
لقد حاولت في سنوات شبّابي الأولى أن أصعد إلى قمة الجبل وأنفقت في ذلك أشهر عديدة إلا أنني لم أنجح نظرا لخطورة الطريق ورداءة الطقس...

والآن وقد أصبح العبور إلى قمة الجبل يسيرا، فقد مضى عمري. أو يكاد واشتعل الرأس شيئا... لقد وهن العظم مني... فمن من أحفادي يستطيع تحقيق وصيتي هذه؟

أريد أن تتواصل حكايتكم مع الحكاية والأرض فهما أجمل ما يعرف الإنسان في حياته... صحيح أنني لم أطلع على المعارف الكبرى وشموسها في صغري غير أنني أنصحكم بأن تأخذوا النصائح التالية:
أولا : اقرؤوا "دقائق الأخبار" وهو كتاب يوجد في هذا الصندوق وستعرفون المصير...

ثانيا : البسوا "الجواهر اللماعة، في استحضر ملوك الجنّ في الوقت والساعة"...

ثالثا : كلوا لتعيشوا وعليكم تناول مؤلف "شمس المعارف الكبرى"...

رابعا : لا تسكنوا أرضا غير "الروض العاطر"...

خامسا : فكروا دائما في "الإيضاح"...

• • •

لم أستطع عمالك نفسي من الضحك :

دقائق الأخبار في وصف الجنة والنار.

الجواهر اللماعة في استحضر ملوك الجنّ في الوقت والساعة.

شمس المعارف الكبرى.

الروض العاطر في تزهة الخاطر.

الإيضاح في قواعد النكاح.

<http://Archivebeta.Sakhrn.com>

لقد ترك جدي إرثا غنيا فيه الجنة والنار وملوك الجنّ والجواهر والرياض

الغناء وما حولها وهي لعمري نعمة كبرى وهبها لنا جدنا الذي وضع كلّ

شيء حتّى الإيضاح!

واصلت تقليب الأوراق فوجدت الكتب الصفراء التي أشار إليها. وفي

خاتمها ورقة بيضاء، جاء فيها :

..."بعد أن تنتهوا من قراءة هذه المؤلفات وتعملوا بها اذهبوا إلى المعراج،

هناك على قمة الجبل".

دارت برأسي فكرة أن أجمع كلّ الأبناء والأحفاد وأقرأ عليهم ما رأيت في

صندوق جدي إلا أنّي تراجعحت خجلا منهم، كما أنّي أحسست أنّه كان

بخطها وصيّة لي. لذلك أتوجّه الآن إلى قمة الجبل متجاهلا كلّ شيء إلا

الغيوم وضرورة الانتقام من السيد عبد الجبار...

تسلقت آخر شجرة رأيتُ النجوم وقد لاحت في هذه الليلة المقمرة
لكّني لم أثبتن موقع السحاب. قرّرت أن أنتظر إلى صباح الغد حين تشرق
الشمس...

عندما أفقت ونسمات الصباح وجدت شيخا جالسا قربي يتأملني. نظرت
إليه وقلت..

-من أنت؟

قال، وقد كشف عن غطاء وجهه:

- "ألم تعرفني أنا.."

قلت متعجبا:

- "ألم تكن رحمك الله قد مات..."

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قال بثقة غريبة:

- "الطيون لا يموتون إنهم يصعدون بأرواحهم إلى الغيوم إنهم يقفون على
قمم الجبال."

قلت:

- "جئت لأنفذ وصيتك... اصعد إلى الغيوم علّها تقضي على السيد عبد
الجبار وتزيح الظلم من قريتنا."

قاطعني قائلا :

- "من قال لك أنني أريد الانتقام؟"

قلت :- "أوراقك يا جدي".

قال :- "عد إليها وقرأ كلّ ما فيها.."

قلت :- "ولكن..."

قال:- "عد وانظر في كل الأوراق..."

عندما عدت مرة أخرى إلى صندوق جدي فتشت في داخله فلم أجد غير الفراغ، فقد تطايرت الأوراق أو عبثت بها بعض الأيادي... لا أدري ما الذي حصل حقاً؟ لكن ما تبينته لاحقاً، أن المعراج الذي كنت أسعى إليه لم يعد له أي معنى في مجتمعي...

لا يوجد أمر يستحق أن نضحى بأنفسنا من أجله، إلا أنفسنا ذاتها... بماذا يستفيد الواحد لو أنه ربح العالم وخسر نفسه!..

وتأصيلاً لهذه المعاني التي قادتني إليها مقالات الأديب رشيد النوادي في كتابه الممتع (إشارات أدبية) نجده يقول: "إن التزام المبدع بالكتابة لعامة الناس لون من ألوان السمو بالفن"، فمن خلال هذه الكلمات يتبين لنا أن للأديب رسالة كالأب والمعلم يخاطب كل العقول على قدر ثقافتها. وعن طريق هذا التخاطب يجمل الخير ويقبح الشر. وعلى الأديب (الأب والمعلم) أن ينمي في المجتمع الذي هو من نتاجه الوطنية والصدق وحب الخير والجمال، ويزكي فيه روح الطموح نحو عالم أفضل، وعلى الأديب التأني عن الكتابة للخاصة، وأحياناً خاصة الخاصة، لأن ذلك يعزله عن مجتمعه، ويفصل بينه وبين ذاته، ويتنفى عن عمله معيار الصدق، ويسقط عنه تاج القدوة.

ويتبين لنا ذلك الأديب رشيد النوادي في قوله: "أدباء روسيا العظام مثل تولستوي وتشيفوف وميخائيل شولوخوف لم يستوردوا أفكارهم من خارج الحدود، بل كانوا دائماً ملتصقين بإنسان روسيا في تاريخه وحاضره وتطلعاته وقد أناروا الدروب للروسين خلال فترة طويلة من الزمن".

ملكة الغضب

بقلم : علي السباعي

(العراق)

ليل آيار ميهم بعتمته التي احرقته
 هوان صغيرة تضيء منذ الأزل، مثل
 شعلات أولمبية موزعة في ميدان
 واسع، عيناه طائران أبيضان يخلقان
 اشتياقا في الفضاء. فحاة ! انقطع التيار
 النجم المذنب يجلب معه الموت.

الكهربائي عن المدينة. ألقت السماء
 عبائها عن رأسها فوق أكتاف
 الأرض. أصبحت المدينة كبدوية
 تشع بالسواد تبكي زوجها الميت،
 صدى بصوت مسموع كمن يشاهد
 الجبال كلها تنهار فوق رأسه:- يا

إضي. ماهذا؟ ياله من نجم غريب؟!
 نجم عملاق بذنب كبير، يجري
 كفرس شهباء في بيداء السماء، مخلقا
 وراءه سحابة ضوء أبيض، عن يساره
 كان القمر قرصا أحمر كالدم يتكئ
 بخدر فوق وسادة مرصعة بالنجوم،
 رمى جلباب الموت عنه، تصاعد
 الدم إلى صدغيه، تجاسر ضاربا رجلا
 أبيض كالقطن.. طويلا بعينين
 حدقتاهما زرقاوان طويلتان كعيون
 القطط، كان يراود الفتاة عن نفسها،
 أكال له لكلمات قوية، هرب ذو

صرخت به بحدة، كلماتها كسمكة
قفزت على صفحة النهر بقوة:
- أنتم يا معشر الرجال مخدوعون.

تأملها بوجه غلفته موجة ضباب
جلبتها كلماتها القاسية، لوح يديه
حائرا أن:- لا يعلم! انحدر شهاب
لامع يرحم الظلمة خلفها تصدع في
جسمها ايقاع ألحان التمرد، انطلق
بعقله لحن مشاغب يحرك شفثيه
بكلمات الوداع، قائلا:- إلى اللقاء.
كطائر خطاف، جاءته كلماتها:-
أكمل جميلك، أوصلني إلى منزلنا.

قصر مضىء على شكل مسجد،
يعتمر قبعة من مصاييح كاشفة تنير
اثنى عشرة قبة حضراء يلفّ القصر
حوله شال أضواء فضية تضيء عليه
قدسية تفيض بريقا تزدحم شموه
لتصنع شمسا سرمدية تنوس بما اثنتا
عشرة منارة بزخارفها السيراميكية
الحضراء، تلصف في هدأة الليل
الآباري، شرعت تنهش رأسه ديدان
عدم التصديق أن :- استيقظوا يا

العيون القططية الزرق، فشكرته الفتاة
ذات الثلاثة والعشرين ربيعا بصوت
يزفرق كالعصافير :- شكرا لصنيعك
هذا.. يا لك من شهم.

أطلقت تنهيدة، جعلت العرق يتفصد
من جبينه باردا، ثم استطردت تقول:
- كنت أحسب الدنيا قد خلعت منها
المروعة!

كان كلامها كتبضات موسيقى،
تقلب أوراق الروح، لتخط نوبة الثقة
سلمها للموسيقى. جعل الليل بطوي
دروب السماء الأسفلتية العريضة، للهم
الظلام نفسه متكوراً كقطفل يضم

ساقيه ويديه من شدة البرد، قال لها
بصوت متهدج:- كنت على وهم ؟
أجابته بتلقائية :- نعم.

برقت عيناها الشهبلاوان الكبيرتان
بوميض ناري لمعرفتها بخفايا الحياة،
سطعت عيونها بنيران مجوسية، قال
هامسا:- نحن مخدوعون !

يشع النجم المذنب بتمزيقه الظلام،
تساقط قطع من سماء اسفلتية تنشوه
بانغماسها في ضوء ذنبه البراق،

مخدوعي العالم !
 ذهبية، بيغاوات بذبول حريرية، غزلان
 عند بوابة القصر وقفت فتاة حارسة
 بقرون عاجية، أرانب بيض بعيون
 كأنها فسفور يحترق، داهمته وساوس
 زمردية. اجتازا القاعة نحو قاعة جانبية
 الخوف تتعثر في صدره، قال لها:-
 جدرانها مغطاة برخام أسود، سقفها
 ها.. قد وصلت منزلكم، لم يعد
 تزينه فسيفساء غاية بالروعة، يتمتع
 أمام زواياها الأربعة مباحر نحاسية
 وجودي ضروريًا.
 لامعة تنفث بخورا يضيوع برائحة
 ألقيتها كلماته، تسأل بحنو دافئ: -
 العنبر، بغتة، تحولت الفتاة على هب
 أسمعت يوما بمضيّف يطرد ضيفه؟
 أشقر سرعان ما استوى إلى فتاة
 ابتسم بوجهها مستسلما، فاخترقت
 يشتعل جسدها العاري لها غمر القاعة
 السكون ضحكاتها الرنانة، انتشرت
 نورا، تراجع مذعورا، ارتعد،
 تزيح ظلمات وثنية امتدت معها السنة
 اصطكت أسنانه ببعضها، دخلنا
 عليهما فتاتان ناريتان عاريتان، أراد أن
 يصرخ، فمه مذعور، فأغمض عينيه
 المنذهلتين من شدة اشعاعات
 أجسادهن الفتية، فاحت رائحة بخور
 طيبة، مشت ثلاثهن نحوه، راحت
 مهاميز ذهبية مربوطة بأرجلهن تحتك
 بالأرض فتطلق شظايا نارية حارقة،
 رفع يده اليمنى امام عينيه يتلاقى حدة
 الضوء، هتفت به إحداهن:
 - أعلمت كم أنتم مخدوعون معشر
 الرجال؟

أشارت بيدها أن يلج بوابة القصر،
 اكتفى بابتسامة ساذجة اظهرت
 غمازتيه، دخلا سوية ممرا طويلا
 جدرانها مغلقة برخام أبيض تزينه
 زخارف أندلسية، أفضى بهما الممر إلى
 قاعة تسيح على جدرانها بقع الضوء
 المتوهجة، تضيء لوحات نساء
 شقراوات عاريات، فيبارك نور
 المصابيح لوحات لطبور حب بمناقير

- تصاعدت دوامات البخور تحتضن
ظفائر النور بحنين مفرط، أحس بأن
قلبه سيتوقف، كفى عن الحركة،
تساءل مذهولا: من أنتن؟
أجابته إحداهن: نحن الموت...!
- تساءل مبهورا: - ماذا؟
قالت إحداهن باستخفاف: - عندما
يظهر النجم المذنب نحلّ معه جالبات
الموت للبشر!!!
- تحدث مستكبرا كلامها:
- لكن البشر يموتون بالجملة كل
يوم... بل بالساعات... فما دخلكن
النازية بصوت صياح:
بدلت... أننّ كاديات.
- حدثت ضحكاتهن الهازلة ترج
القاعة، تكلمت فتاته:
- أنت تخاف كل شيء، تخاف
الموت، نفسك، وتخافنا.
- كلماتها كبقايا خطوات مطبوعة فوق
رمال متحركة، قال بعصبية مما جعل
كلماته أبقاعا حديديا يصطك وسط
القاعة:
- نحن جيل الخوف يا هذه.. بذار
نساء الرعب.. أيام الخوف ارضعتنا...
- وأصابع الشقاء الحديدية فطمتنا.. يا
جالبات الموت.. أسمعتم...
قاطعته الأخرى بغضب:
- اصمت. لن يجديك ذلك نفعا، لابد
من موتك.
- حدّق فيهن بنظرة شفقة، وقال بمهوء:
- الموت راحة لبائس مثلي،
وستصنعنّ خيرا لو عجلتن بموتي.
- عقبت فتاته:
- يا هذا. نحن لسنا بشرا.
- لم يجيبها، تكلمت صاحبة الظفائر
النازية بصوت صياح:
- اذن. سنصنع معروفًا بقتلك.
- زكم أنفه رائحة فمها الشيطانية،
أجابها:
- بالتأكيد فكل ظالم يقول جئت
بالخير، ومعروفه بقتل الناس.
- همست بأذنه:
- ستموت... أنت الآن في مملكة
الفجيعة، برحاب الفناء. لا حياة لك!
- مطّ شفتيه، وقال بثقة:
- لقد عشت أزمنة الخوف، اليأس،
الغربة، وما أجمل أن أعيش لحظات

الموت. حينما شاهدها، شعر بأن لحياته قيمة،
أقتربت صاحبة الفم الشيطاني، لتقول
بمرارة: بداخله إحساس سيطر على تفكيره
- إنك تحيا بالأوهام.. فهي زادكم يا
بشر.

أحياها بشرة ساعرة: - عجلن بالموت... عجلن.

سجن مهميزهن بعنف، راحت - أنن الوهم بعينه!

صفعته بعنف، بينما الآخران
سجنه من ياقته نحو باب جانبي أفضى
من وسط قاعة مملوءة بالجلث الممزقة،
تخدرت حواسه، اضمحلت الأشياء

مندفعة نحو ظلمات مجهولة، مرقق
ملاسه، أضحي عاريا مذهولا
وسطنه كرحل يدخل حمام نساء
عار، غطي بيده عورته، تدافعت
ضحكائن الماحنة تخنق ثقته بنفسه،
أمسكت كل فتاة بيد من يديه، حل

أمامهن الرجل ذو العيون القططية
ممسكا برجليه، ممدوده فوق مسطبة
مرمرية بلون الجمر، طلت أمام عينيه
جمجمة معلقة بالسقف، أشارت
ناحيتهما إحدى الفتيات، قائلة:

- إنها جمجمة الحلاج.

حانقات، مازال يتلو الآية الكريمة، غصّ جو الغرفة بسحب دخان كثيفة
وصل إلى قوله تعالى: / ولا يؤده تقير موجات الضوء الشابة، للمرة
حفظهما/. الخامسة والستين ردها. احترقوا
ارتحفوا. خبت نارهم. كررها كملابس صوفية رثة. للمرة الثامنة
ثانية/ ولا يؤده حفظهما/. ثالثة تلاها، والسبعين أعادها على مسامعهم،
ندت عنهم صرخات وحشية. رابعة تحولوا إلى رماد رصاصي ثقيل، ترتفع
أعادها. ارتعشوا رعبا. انكمشت منه أنجرة زغنة تلهث فوق صدر
أجسادهم النارية. خفتت نارهم، فحيعتهم، أغفى وهو يكررها / ولا
تصاعدت أنجرة رصاصية تحنق أنفاسه، يؤده حفظهما /.

التجديد في الأدب العربي:

ويتقل بنا الأدب رشيد النوادي إلى حركة التجديد في الأدب العربي،
ويسأل هل التجديد في الأدب تولد عن فكرة؟ أو كان حول رؤية معينة ؟
ويجيب رشيد النوادي بأن الآراء كانت دائما مختلفة حول مفهوم التجديد
ومحدوده، ويرجع الفضل في التجديد، وتطوير أساليب الكتابة إلى ظهور
المطابع في الوطن العربي وإنشاء الصحف، وانتشار الفكر نتيجة الدور الريادي
الذي قامت به الجمعيات الأدبية مثل (الجمعية السورية)، و(جمعية التعريب)
و(جمعية تأليف الكتب...) الخ ثم الجامعات العلمية في دمشق والقاهرة وبغداد،
ويقول الأدب رشيد النوادي "سارت حركة التجديد في الأدب وبرزت في
شعر خليل مطران حينما حاول أن يتخلص من القافية، وظهرت أيضا في إنتاج
أعلام النثر المحدثين كأحمد فارس الشدياق، واليازجي، ومصطفى لطفى
المنفلوطي، وقاسم أمين، والمعلم بطرس البستاني، وفي ميدان تحديد النقد
العلمي، ويلييه ميخائيل نعيمة وطه حسين، وعبّاس محمود العقاد."

حكاية من حكايات المنجم

بقلم : محمد العائش القوي

عرفت مسقط رأسي المتلوي منذ سنوات قديمة، حيث كانت تتكوّن من أكواخ وأحواش ومنازل من الحجر والطوب والطين وأبوابها منخفضة ونوافذها صغيرة ومرتفعة قرب السطوح وسقوفها بالخشب والقصب والجريد، وأمّا الأهالي أولاد بويحي يقطنون قرب الغياي للشبكة والحمارة والحمايرية والسيسب والسقي والباطن بالخيام السوداء المخططة... لهم قطعان من الماعز والأغنام والإبل ونوق حلوب وحيول وأحمرّة وبغال ترتع في المروج المحيطة بهم، وهم كلاب كثيرة بيضاء وسوداء وحمراء نحرسهم وتحرس أغنامهم المنتشرة في الحقول والمزارع بالأعشاب الكثيرة والكثيفة كالرتم والنجم والنسب والياقل والعجرم والطرفة والمتنان والمملوثة بالأرانب والجردان والخرابيع والحمام والقطاء والحجل والثعالب والذئاب والضباع، وكذلك العقارب والأفاعي والأحناش وسنابل القمح والشعير.

وأما الأطفال الصغار فيمتطون ظهور الأحمرّة لجلب مياه الشرب في الأمطمة وقرب الماء من الآبار والفسطقيات القريبة منهم.

وأنذكر عندما كنت صغيراً أصاحب أسرتي وجيرانى إلى الصحراء في فترة اخصاد... كانوا يحصدون مع الحاصدين سنابل القمح والشعير الذهبية التي نادت باخصاد. وتجمع السنابل وتكدس في البيدر ثم تفرش على البيدر ويقع الدوران عليها بالنورج. وتأتي عملية التذرية بإعانة نسمة الريح للفصل بين الحبوب والتبن. ثم التنصيف بالغربال بين القمح والخصى والتراب، ثم يقع قبول القمح والشعير ووضع في الأكياس أو الغراير المصنوعة من وبر الإبل ونقله

على العربات أو الجرارات أو الشاحنات الصغيرة أو الإبل إلى المخازن ديوان الحبوب "الدوك"، ذلك هو موسم الحصاد عندنا بالصحراء، أحب فيه ترديد الأغاني والمعزوفات البدوية الشعبية التي تتحدث عن الصحراء وموسم الحرث والحصاد والنجع والإبل والأغنام والمواشي والمراعي، وأتذوق ما يتغنى بالصحراء وكرم أهلها وشجاعتهم وليالي الحصاد الصيفية القمرية، وكان المرحوم أبي يحكي لي الحكايات الشيقة والمفيدة... يحب شرب الشاي الأخضر بالنعناع في الصباح والقيلوله والمساء مع إشعال سيجارة من نوع "الخلوزي أو الأرثي" الرديء ويحفظ الغناء العروبي الشعبي منذ أن كان يرعى الأغنام والإبل في الصحراء مع عمي، يشرب كل يوم الكثير من حليب النوق، فكان متوسط الطول ذي حيوية وحكمة وبحيرة، وكلما سأله عن شيء ما يشرع في ود دافق يحدثني عما وددت معرفته، فهو عجيب حقاً.

ذلك أبي الذي علمني الإيمان بالله والتواضع ومضي مع الفجر باتجاه الحق. وكان شيوخ قبائل أولاد بو يحيى يجتمعون كل ليلة ويتحدثون كثير عن الصحراء وحياتها والمواشي والماء والإبل...

(عيون القبائل نامت)

فتاهت بها القافلات

وهذا الطريق

يدور بيثر من الماء

يسبح عبر الرمال

يحمل الحياة نضاراً وخصباً

فينعش فينا الصحارى

وينفجر الماء عذبا

شيوخ القبائل كانوا...

يديرون في كلّ ليل حواراً طويلاً...

ولكنّه "الفعل" يبقى قليلاً.

- والمتلوي لها تاريخ قدم ومعالم أثرية رومانية جبل التالجة وعين عبد وقد نقل منها المهندس الفرنسي "باديست" إلى متاحف فرنسا وأوروبا الكثير من الآثار وخاصة من منطقتي الحمارّة والوصيف، وتجدها مناطق كثيرة منها الدورا لأولاد سلامة وفج التخلّة والرميلة والدغيمة والحمايرية والحمارّة والدين ووادي الطرفاوي وعين عبدو وسلسلة من الجبال جبال الوصف والجحشة وجبال السقي الباطن والشارب (القبلي) السهول المنخفضة الصالحة لزراعة الحبوب كالقمح والشعير وتربية الماشية والإبل.

- في نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر بعد الاستعمار الفرنسي للبلاد التونسية. اكتشف الفسفاط يوم 18 أفريل 1885م بجبل التالجة من طرف المهندس الفرنسي "فليب توماس"

ويتكوّن فسفاط المتلوي من فسفاط جيرى روسي متكوّن من هيكل حيوانات بحرية تراكمت في أعماق البحار القديمة التي فقدت مياهها أثناء تعرّضها إلى هزات جيولوجية عنيفة متبوعة بعواصف رمليّة قويّة ساعدت على تغطية هذه المواد العضوية.

(وفتح منحّم المتلوي سنة 1889م) وتدرّجيا المناجم الأخرى... وعملت الشركة لجلب العمّال من سوف والقبائل بالجزائر والمراركة من المغرب والطارابسية من ليبيا والمناطق المجاورة...

ومدّت خطوط حديدية جديدة بين المتلوي وصفافس والمتلوي أم العرائس الرديف والسويطير وتابديت ثمّ أحر إلى المظيلة وربطت مدينة توزر الجريد

بالتلوي ومدّت شبكتها إلى مدينة قابس عن طريق الغريبة.
وفي القدم كانت الشركة تعمل بطريقة تخفيف الفسفاط في طرحه على
الأرض وحرثه تحت أشعة الشمس الحارة لتتبخّر رطوبته وتصفيته من الأحجار
والطين والجص والصلصال.

وتغيّرت مظاهر هذه الجبال التي كانت مهجورة سابقا، ورجعت الحياة
والاستقرار لهذه الربوع لجيش من العمال الذين حولوا هذه الربوع من ركن
مهجور إلى منبع خير وعطاء أعاد الحياة إلى أرواح شبه ميتة وفجر الحب
والتآخي في قلوب قاسية وكل صفوف قوم كادت تقضي عليهم روح
العصبية والقلبية...

(وأهوى الكادحين بها

مضى صرعوا رواسيها

وغنوا أغنيات الحزن والأعتاب

وعادوا من مناجهم

ليحتضنوا صغاراً وحدهم

وقفوا على الأعتاب.)

كانت التلوي في عهد الاستعمار الفرنسي وكراً للاستغلال الفاحش وكان
العمال يعيشون في الأنفاق بباطن الجبل والأكوخ الصغيرة على سفحه، إنهم
مثال حيّ للاستغلال والاستعباد، وأكلت عرق وجهود العمال الكادحين لقاء
أجرة زهيدة لا تكفي سدّ رمقهم فيرجعون إلى أكواخهم منهوكي القوى بينما
ينعم المستعمر الفرنسي بأرغد أحوال العيش. وكانت ملايين الأطنان من
الفسفاط تشحن عبر القطارات إلى ميناء صفاقس أو حلق الوادي ثم إلى
مرسيليا بفرنسا لينعم بعائدها المهندسون الأجانب من فرنسيين وإيطاليين

ومالطين وإسبان وألمان وغيرهم تمن كانوا يعيشون في أحياء عصريّة "الفلاج" بالقرمود الأحمر مزودة بالمرافق المعيشيّة المريحة وكان محظوراً على العربي دخولها حتّى أطلق على المتلويّ "باريس الصغيرة" وكان الغمّال منهم من تقتله حوادث الشغل داخل الداموس بغير ضمان ولا مقابل (ويعمشوا لا نايحة لادفينه) ومنهم من يموت بأمراض الوباء القاتلة: حتّى قال فيهم الشّاعر الشعبي القديم:

بالداخل للقرية بردير راسك

كان مت مالك دية كان عشت قز خلاصك

أمّا الشّاعر الشعبي الآخر يقول:

أجري يا خدام المينة راه اليوم قمار خلاصك

نصوماشي للكانتينة ونصو الباقي في قصاصك

وكي بقي ليك مريشينة بردير بيها رأسك

وعبر أحد الشعراء الشعبيين سنة 1940 م عن الحالة الاجتماعيّة والاقتصاديّة الّتي كان عليها الغمّال العرب بالمناجم فقال :

فوسفاطنا خير وعلينا حابس * والشرّ مندافو علينا كابس

فوسفاطنا وكنوز و غارت عليه مهاف قعرت كوز ونحن العرب لمنين باش

انزوزو البيان مقفولة علينا من أسسها

وقال أحد الشعراء الشعبيين القدامى :

المتلوي يا بلادي يامينة الفسفاط

فيك الخبز الحامي والكسوة والصباط

حمل المرحوم أبي رقم 53165 بمنجم المتولّي (10) يستيقظ كلّ صباح باكراً

فيتوضأ ويصلّي ويلبس ثيابه فيجد المرحومة أمّي قد أحضرت له كعادتها كلّ

صباح فطوره، ثم يخرج مسرعاً إلى العمل، الجو بارد، ريح غربية باردة تهب على المكان، العمال يرتدون الأزياء الزرقاء، والقبعات البلاستيكية البيضاء، أما البعض الآخر فيحمل أدوات العمل، يتحرك القطار فلا تسمع الأصيرير عجلاته وصغيرة الذي يصدر عنه من حين إلى آخر، وعند الوصول يتزل العمال بسرعة في نشاط يلتحق كل منهم بمكان عمله داخل الداموس "بالشانطي أو الفاصمة"، مكان مقفر تحيط به الروابي الصخرية من كل جهة وجانب، أضواء باهتة تترأى من بعيد وأشباح تتحرك وأصوات إلتهم عمال الداموس، يترع أبي ملابسه ويبدأ هو ومن معه العمل بالتهام تراب الفسفاط بالرفش وتعبته في عربات صغيرة، يقول أبي كنا داخل الداموس نسمع نباح الكلاب ونشاهد لمعان عيون القطط ورجال برؤوس حيوانات بغال وأحرة وخيول.....

ونشم رائحة العرق ممزوج بتراب الفسفاط ورائحة الأسماك والحيتان والحيوانات البحرية والأنياب وأسنان الحيتان الكبيرة، وكنا نسمع أصوات ونداءات بعيدة وغريبة تنادي ولكن لا نعرف مصدرها من أين آتية! وكنت أجلس بجانب أبي عندما يعود من العمل ليحدثني عن ظروف العمل في الداموس صعبة، أن العمال رجال يعيشون مع الفسفاط والموت كل يوم، حياتهم رحلة تحمل الصراع وملحمة مع الطبيعة والحياة.

بقي أبي يجهد نفسه إلى آخر رمق من حياته لأنه يؤمن بالفعل والإرادة ولقد صمد صمود الحجرة الصلدة في وجه الرياح العاتية.

بعد موت أبي شعرت بفراغ كبير يملأ حياتي، تعلمت أن للصمت ضحيجا يصم الأذان ويتردد صده بين جدران بيتي فالليل يشم على صدري ويشدد علي الحناق وأنا ممدد في فراشي... شيء مزعج أن يشعر الإنسان بتحمد الكلمات في قلمه... لماذا لا تنفجر الكلمات حتى تلتطخ نصاعة ورقة دفترني هذه الورقة طالما أفلقني بياضها حتى خلت أن نفسي عاجزة عن

الانطلاق... لماذا ألاّ أخلق شيئا ما... أي شيء يحدث صخباً وضجيجاً؟ عجباً متى كنت أحرّو على قول أشياء واضحة ذات معنى؟ إنه الوهم، الوهم الذي يضيق على الخناق حتّى يتركني صريعاً، ومرة أخرى أعود فأحيا فراغ ذاتي وذوات الآخرين أترقّب أنتظر لحظاتي، الحيرة يذوها الفراغ والضياغ وقلق لا يفني.

إنّ روحي تحيا كل ربيع بالرغم من الأعاصير وفصول الشتاء المتكرّرة طوال أعوامها المتعاقبة، حقا إنّها ذرة من الأرض ستعيش وتتفتح من التراث حضرة ووروداً وأزهاراً... بيد أنّها لن تعيش في عالم الصّمت والسكون إنّما ستظلّ في حرمانها وشقائها، أنّ نعمة الحبّ تعطي للمهتدين من الأحياء إنّ الحبّ منذ آدم وحواء وإلى الأبد...



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

لقد مات أبي واختطفته المنية
وكنا صغاراً إذا غاب عنا حبيب بكينا
بلوعة حزن يؤجج فينا
وتحرقتا ناره المهيبة

لقد كان أبي فينا عطوفاً... يدغدغ أسماعنا بالأغاني
ويطعمنا من لذيذ الأمان
وها نحن بعد الغياب نعاني
من الوحشة الدامية

ونسأل... نسأل عنك، ولا من يجيب
فهل سوف ترجع يوماً؟؟

كما ترجع الشمس للشرق بعد الغروب
ونبصر فيك الحبيب الذي لا يغيب.

رحلة الشرود (1)

بقلم : عبد الرزاق التوري

"إر" كرّرها أكثر من مرّة وهو يحدّث وتكرّما.
 حمارة على احتياز عقبة كاداء وقد "إر" لقد أتبعه حمارة ذو الأصل
 ثقل وزره، لقد تسلّم "حماسته" من البربري فحنّ لسعات السوط
 صابة الحبوب وسبيعتها في سوق ووخزات عصاه المذبذبة لم تعد مجدية.
 القرية. عليه أن يصل مبكرا ويفتح كيس
 سيشتري الخنّاء والعطر والكحل، القمح ويسمل، سيحدّد ثمن "الوية"
 تضطرب رجلاه من حين إلى آخر في وله في ذلك خيرة زودته بما
 بقايا المشيم. موسم الحصاد كان شاقّا سنوات "الحماسة" سيشتري لأول مرّة
 واغناؤه الطويل على مشحله جعله أن له ملكا يريد بيعه.
 يشعر بالآلام في الظهر ولكن لا بأس السوق ينشط عادة مبكرا وإذا
 ستختفي هذه الآلام بمجرد أن يقبض أشرفت الشمس يصيبه الفتور وتندبى
 الثمن. الأسعار. وزوجته لابد أنها تنشد
 كان من حين إلى آخر يردّد: رطوبة تحت شجرة السّرو.
 "خفف الحمل فإن العقبة كاداء آه، ماذا لو صادفني ملك من ملوك
 وأحكم السفينة فإن البحر عميق الجان، قيل إن ملوك الجان تنتشر ليلا
 وأكثر الزاد فإن السفر طويل". حديث وأنما برزق من يعترضها خالص إلّير،
 حفظه عن "عياش" أول مؤدّب تولّى يقرأ: "... بعضهم لبعض ظهيرا..."
 مهمّة التدريس في القرية، ضريحه ما إمكانية ظهور الجن واردة... اللهم لا
 تزال إلى اليوم تؤمّه عجائز القرية تتركها تحمّلنا إثم تأويل القرآن.

من الذباب. كان يعتقد أنّ اللبن شراب الحكماء... يثني ركبته ويتعمّد جبهته ويسويّ عمامته التي أثبت أن تستقر فوق رأسه ثم يتفرّس المقرعة ويقول: خذوا!

قال تعالى: لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في السّعر (1).

وأنس بن مالك يروي فيقول:
أثني على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير فقال كيف عقله؟
قالوا: يا رسول الله إن من عبادته...

إن من خلقه... إن من فضله... إن من أدبه...
فقال: كيف عقله؟

قالوا: يا رسول الله ثني عليه العبادة وتسلنا عن عقله؟

فقال رسول الله: إنّ الأحقق العابد يصيب بجهله أعظم من فحور الفاجر وإثما يقرب الناس من ربهم بالزلف على قدر عقولهم.

وأن علي ابن أبي طالب سأل النبي عن ستته فكان جوابه صلى الله عليه وسلم: العقل أصل ديني.

لو حصل هذا يا "وردة" سأحملك إلى مصحة "نيرون" وهناك سيصلحون ما وهبها الله من قبح، سيعدّلون صوان الأذن ويهدّبون أرنبة الأنف ويزيلون تجاعيد الوجه وينقّون ما علق ببشرها من رماد المزابيل... وصوتها الجنائزي... سيعدّلون حبالها الصوتية كما تعدّل أوتار العود ويسقون وجهها عطر حدائق بابل...

الشيء الذي لن يجد له تعديلا ولا تأهيلا عقلها...

زوجته لا تعرف أن القرآن يعرض لمادّة العقل في تسع وأربعين موطنا من آياته الكريمة.

لو تتلمذت على يد "عيّاش" نعرفت معنى العقل... تمنّى لو أنّه دوّن ما كان يملّيه عليهم من حكم وعبر. كان رحمه الله يقول مهذّدا ومخذّرا: المقرعة لا تعترف بالكسل والخمول، جئت إلى هنا لأحارب التسيان، قيل أن هذا الكوخ مضجع له.

كان يجلس على حصير بال ويضع بجانبه إبريقا مليّ لبنا طفت عليه زمرّة

ويقول صَلَّى الله عليه وسلّم: إلى الولولة والصَّهيل... لا بدّ أن يرافقها إلى مدن الملح حتى تنزود بما يكفي من "البود"... سيرافقها على الجزر الخالدات، سيلامس جلدها لأول مرة حَبّات الرَّمْل ويعزف لها أنشودة "الرعاة"... حينه إلى "الخماسة" لم يخنف.

عند الغروب يميل بما على خليج الخنازير... ستودّع حتما رماد المزابل ونيش التراب.

"الحسبة" ستكون باهظة ولكن لا بأس طالما ملوك الجن يعطون بدون منّ. لو حصل هذا لنذرت للرحمان ألف ركعة أو يزيدون... ولما لا أتزوج ثانية ولن أخالف الشرع أو العرف... تعدّد الزوجات مباح.

"مصباح" ماذا بكيسك قمح صلب أم لّين ؟ ويفيق من غيبوبة أخذته. إنه جاره مسعود يستحثّ بغلا من أصل فارسي.

اللهمّ لطفك يا رب وجهان لا يستبشر برؤيتهما، أولهما وجه مسعود.

ويقول صَلَّى الله عليه وسلّم: الكلمة الحكمة ضالة المؤمن (2) ولا تحدث الحكمة للسفهاء (3) فيقدر ما كانت ذاكرته نضرة تستحضر أدقّ الأحداث وأبعدها... كانت بلهاء غيّبة، مرنة كعود الزّان، أصيبت بمرض "الأميزيا" أو مرض فقدان الذاكرة... لا تستحضر حتّى خبز الرقاق الذي أكلته صباحا. ويقدر ما كان طموحا لجوجا لا يهاب الصّراع كانت فتوة مسالمة تميل إلى الخوف والتأمل. كتب لها التمام فلم يزدها ذلك إلّا خوفا واكتئابا.

كتب لها بخط "الثلاث" وبحبر القطران وعند مدخل الكوخ.

"ومن لا يريد صعود الجبال يعيش أبد الدهر بين الحفر (4) فلم يزدها ذلك إلّا قوقعة وانكماشاً...

ستعود فاتنة ويعود لها سمعها الذي فقدته منذ أن انفجر عليها لغم زرع إبّان الحرب العالمية الثانية... ستعود

"التاريخ لا ينقطع فعله" Historia
non facit sabaqum ظاهرة انتبه
لها المشرعون العظام للإمبراطورية
الرومانية وصاغوها قانونا أو شبه
قانون.

لم يجد حلاً لزيغ عقله وراح
يهذي... قرأت لصحفي كبير وهو
يكتب في أواخر القرن العشرين وتحت
عنوان "سنوات الغليان" (1)

إنّ الجسور إلى المعارك جزء لا
يتجزأ منها وهذا المنطق لا يمكن أن
تنتحلت عن معارك الحرب العالمية
الأولى دون أن تتعرض إلى ظهور ألمانيا
الموحدّة على يد "بسمارك" وهزيمة
فرنسا في حرب السبعين ودخول ألمانيا
إلى سوق المطالبة بالمستعمرات في
مؤتمر برلين أواخر القرن التاسع عشر
والدور الأمريكي بقيادة "روزفلت"
وانتصار اليابان على روسيا في بحار
الشرق الأقصى بداية القرن العشرين
وانهيار الامبراطورية العثمانية أو ما
يعرف بالمسألة الشرقية.
وهذا المنطق لا يمكن الحديث عن

وصل السوق، باع واشترى وقفل
راجعا، كان الحمار يتعثّر من حين إلى
آخر ومع كل عثرة ترتجّ ذاكرته.
آه، لقد نسي أن يشتري لزوجته
سواكا تطهر به القلاح الذي علا
أسنانها... رائحة فمها أشبه ما تكون
بزنج السمك.

"إر" وبصوت متهدج أخنى عليه الدهر
راح يستحثّ حمارة مجددا.

لا شك أنّها في انتظاره تنبش التراب
بعود وتردّد أهزوجة حفظتها عن
جدتها نعي بها أهل بلاد الأرحوان
فرطاج عندما زرعتها الرومان ملتحا.
هي لا تعرف معانيها ولا مناسبة
نظمها المهم أن هذه الأهزوجة تجعلها
تنألم ويسري فيها دفء الحزن.

الضفادع تنق والكلاب تنبح على
حافيات الترع... لاشك أنّها تستعدّ
لإشعال الخطب وستحضر "البراد"
تطبخ له شايا يرنجه هموم الرحلة.
زوجته لا تعرف أنّ "البراد" سيأخذ
حزب مغربي شعارا له في الانتخابات
التشريعية بداية الألفية الثالثة.

دون الحديث عن تبلّد عقول الصبيان...

"إر" لم يعد يفصل بينه وبين البيت سوى واد بعيد الغور، التحأ إليه بنو هلال عندما زحفوا على أفريقية. نزل، أوثق شدّ حماره إلى نبتة "قنلول"... تيمّم وراح يؤدي ما فاتته من صلوات.

لحق الحمار غيقا مَرَق الصمت الذي كان يلفّ الكون، اقشعرّ جسمه وارتعش قطع صلاته

"لا تجوز الصلاة بأرض خوف"...
التقصير مباح...

ينهق الحمار بمجددا، تسارعت دقات قلبه، غام بصره وانتصب بقامته المديدة واختفت آلام الظهر... أتكون

اللحظة التي تسبق ظهور الجن؟! عوذل وبسمل وهمس بصوت خافت: اذكر أنّ ابن عبد ربّه قال:

لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة كلب أو حمار أو مولى. (2)

إنما أول مرة يشعر فيها بالخوف، لقد دخل سرايب القرية وكهوف

الحرب العالمية الثانية دون الحديث عن الثورة البلشفية والفاشية والنازية ووقوع اليابان تحت حكم العسكريين ودخول الولايات المتحدة إرث امبراطوريات الغرب التقليدية وقيام "هتلر" بضمّ النمسا واجتماع "مونيخ" الذي جمع هتلر وموسيليني وتشميرلن ودلاديه واحتلال ألمانيا لنشيكوسلوفاكيا.

إنّ المارك لا تندلع فجأة من وسط السكون ولا تطل برأسها من فجوة مظلمة أو مجهولة.

ينهق حماره ويكبو كيوه كادت تطرحه أرضا فترتجّ ذاكرته مجددا... هذا ما قرأته لصحفي كبير عاشر وعاش أكثر من حرب.

"الحرب إنما ذروة الصراع وفي بحرى أي صراع فإن القوة احتمال وارد"

وبنفس المنطق لا يمكن تفسير التحاقه بمهنة "الخماسة" دون الحديث عن مقرعة الزّمن.

ولا يمكن الحديث عن مقرعة "عياش"

الرومان وقناطر الألمان ولم يحصل أن
خاف، لم يكن يكثر لصياح جده:
"هذا الكهف زرعه الخلفاء ألعاما".
حاول قراءة ما تيسر من القرآن علّه
يهدي غضب حواسه لكن ذاكرته
تعطلت...
تملأ قفز فوق حماره، وخزه وخزه
انتفض لها... غدا لن أكون "حماسا"
لن أعانق مناجل لمعت نصالها ويردد:
"وقد علموا أني قاتل لحاظها
وأنّ لها في كلّ جارحة نصلا"
لقد عادت ذاكرته إلى حيوتها
المنهودة، كان تعطلها مؤقتا ناجما عن
اضطراب في افراز بعض السوائل
الفيزيولوجية ويحدث هذا عادة إذا ما
خاف البشر.
"وردة" أين أنت يا امرأة يبدو أبي
تأخرت كثيرا، المشكلة هي الحمار.
انتصبت واقفة، تلثمت، أوثقت شدّ
خيوط حزامها ومررت يدها على خدّ
ذاو غطته صفرة النفاس وقالت:
"لا تحسبوا نأيكم عنا يغيّرنا
إذ طالما غير التأني الهيبنا".
زفرت زفرة الهدّ لها كيانه وأضافت:
فما زادي الواشون إلا صباية
وما زادي الناهون إلا أعادي
تسمّر في مكانه، تفقد قرطاس الحناء
وامتنشق (نفّة معطرة) فضاقت أنفاسه
وخارت قواه ونطق: هل أنت
"وردة"؟ هل أنت "وردة"؟
تري من علّمها الشعر؟
خلال معاشرته لها لم يلمس لديها أيّ
مؤشر يدلّ أو يوحي بأنّها تحفظ شعرا
أو تتفنّن كتابة أو تحسن نطقا أو تميز
بين القبح والجمال.
حتى الذئب الذي كان من حين إلى
آخر يسطو على القن يقتل ويبيد
حرّمت عليّ قتله بدعوى حسن
المعاشرة. فلقد ألف نباح الكلاب
وألف البيت، أذكر مرّة أنه أكل أكثر
من دجاجة بل تجاوز حدود المألوف
بأن أقدم على قتل الديك الرصاصي.
لماذا أخفت حكمتها؟
لا، لا ليست "وردة"
لم يشعر إلا وهو بمد يده يتلمس حلمة
لهدها، فلم يجدها لقد قضمها بكره

رحمه الله عندما أقدمت على فطمه قبل الأوان، تأكّد إلى حين أنها "وردة"

ضغط على يدها فلم يجد خنصرها لقد قضمه هو الآخر الحمار وهي تقدّم له الشعر ذات غروب. فازداد تأكّده بأنّها "وردة" لكن لم يصل إلى حد اليقين.

راح يتأمّل عنقها باحثا عن موقع الكميّ، إلها العلامة المميزة لها. لقد أقدم على كيّها عندما ألفت السير ورأسها إلى أعلى فكانت كثيرة التعرّ، سقطت في كلّ حفر القرية فقدت مع ذلك معظم أسنانها.

نقى الحجارة من طريقها فلم يفلح، زرع لها الشوك وأجبرها على أن تسير حافية علّ وخز الشوك يحيل نظرها إلى أسفل فما أصاب. ألبسها عقدا من الزيتق علّه يزيد عنقها انحناء لكنه تمّد واستطال.

سقاها مشروب "الزقوم" لعلّهم أن "شجرة الزقوم طعام الأثيم" فما نفع. لحظتها أقدم على كيّها، لقد تعلّم عن

أجداده أن الكميّ أرقى درجات التداوي، وجد المكان. جلد ناعم أملت فتأكد لديه أنّها "وردة"

أ تكون شاعرة وحكيمة وأنّها أخفت ذلك لأنّها قبلت الزواج بي وأنا "الخماس" الذي ملّ التنقل بين البيادر وأدمت يديه سيقان السنابل وشق بمحرّاته أكثر من حقل وعاشر الأرض

ظلمأى وطوع الفحول... زوجته تعرف شجاعته وهو يتحدّى غرائز الحيوانات لذلك أكثرت فيه هذه الشجاعة التي لا تتوفر لغيره من الذين ألقوا قتل الذباب بالمبيدات واختضاع الحيوانات بقوة الرصاص. أما هو إذا أراد اخضاع حيوان فإنه لا يعوّل إلا على ما وهبه الله من قوّة جسدية...

لذلك لم تشأ أن تطعنه في كبريائه، لو قالت له أنّها أكثر منه حكمة وعلمًا لكانت الفاجعة.

تنهّد، غمغم، أخفى ألمه وتذمّره وقال : أين الحبل ؟

الحيوانات.

وما حاجتك به ؟

رجلا لم يحدث أن تعطر أو تجعل أو لبس ثوبا جديدا أو زار طبيبا، رجلا لم يألف إلا لحيق الأحمر ونعيق الغربان وصياح الفلاحين... ساكت: "التاريخ لا ينقطع فعلة" وبعدها سألف الحبل حول عنقي وأنام كما نامت زوجتي على "حكمتها" وخصوصيتها.

شأن لا يعينك، لا ترهقي نفسك. اللهم اجعل العاقبة خيرا، لقد تعود أن يطلب الحبل ربيعا إذا أراد ترويض الفحول المضاربة إذ لم تحترم قواعد التناسل وألحقت ضررا بحقول القمح والشعير فيقدم على تقييد حركاتها بالحبال فيجتنب تذمر الفلاحين ويريح نفسه عناء الجري.

الظلمة ما تزال بكرا بتولا، الكل في صمت عدا خفافيش تقوم آخر الليل... يقال أن أغلب النساء يضعن فحرا وأن الروح تغادر الجسد فحرا لذلك سألتحق به فحرا ولن أسمع بوقوع الفاجعة.

تري ما سر إصراره ؟ ويعيد بصوت أكثر حدة : أين الحبل ؟ لم يمهلها فترة للسؤال، تجري فتحضر له حبلا صنعه من شعر الماعز ووبر الابل وهي تدعو اللهم اجعل العاقبة خيرا.

سأقول له : قم يا ابن الكلب ألم تستح بعد. سأعلمه من غير التاريخ ما لم يعلم وبعدها فلتكن الفاجعة.

يقفز ويمتطي الحمار ويختفي بين الشعاب والوهاد. هناك سأبحث عن صخرة وسأكتب عليها بالخط الكوفي:

سأقول له : قال علي ابن أبي طالب : لقد وعى أبو ذر علما عجز الناس عنه ثم أوكأ عليه فلم يخرج منه شيئا. سأذكره بأصول الخيانة وأقول له أن

كيف يمكن لامرأة بنود وهبها الله حكمة وعلم أن تحتضن رجلا لم يعرف إلا كنس المزابيل والنوم بين حضائر الأغنام والتلذذ بإحضار

واحتست ماء سرت برودته في كامل
جسمها... اثخت واندفعت خارج
الكوخ فاصطدمت بوتد كاد يطرحها
أرضا فاستعادت توازنها وراحت
تقرول بين المنخفضات يحدها أمل في
الالتحاق به قبل حدوث الفاجعة.

لم يكن غير صرير الجنادب يؤرّ سمعها،
كانت ترتعد بين الغينة والأخرى.

هشيم الحصائد كساه الندى والتعابين
بدأت تدب...

لاح لها نور خافت ينبعث من كوخ
عند أسفل التلّ فشعرت بالطمأنينة إلى
حين...
أسرعت الخطى ومع كلّ خطوة
كانت تشعر بأنّ المأساة تقترب.

إنّه "حانوت" "شعيب" واحد من أقدم
دكاكين القرية وأعرقها شيد منذ نهاية
الحرب العالمية الثانية، أهل القرية
يطلقون عليه "القربي" وهو عبارة عن
كوخ بني من صخور تركها الرومان
يتعهده صاحبه سنويا بنوع خاص من
التربة يجلبه من غار ورثه عن جدّه
كان البربر يطلون بترابه القلال قصد

العربي الوحيد الذي خان قومه وقام
بمهمة الدليل لجيش "أبرهة" هو أبو
رغال، خلّد العرب خيائنه وجعلوا من
رجم قبره بالحجارة سنة قاربت شعائر
الدين حتى أن الشاعر "جرير" قال في
هجائه للفرزدق:

إذا مات الفرزدق فارجموه

كما ترمون قبر أبي رغال (1)

سأقول له لقد وعيت معنى العقل
لكن لم توظفه في فكّ الطلاسّم وسر
الأغوار وكشف الحقائق وإثارة
الكوامن وبدل أن تعانق الحياة عانقت
سيقان السنابل وعوض أن تتمرّع في
جنان الحياة أبيت إلّا أن تكون
"حماسا". سأقول له...

فتحت صندوقا خشبيا وأخرجت
منه قماشا ناعما أهداه لها قبل أن
يلتحق "بالحماسة" نفضته حيّدا...
إنّها بقايا كحل وعطر وحناء، ظلّت
محتفظة بها في هذه الصّرة تحسّبا
للأفراح الطارئة... لفّت القماش على
رأسها وأحكمت شدّ الحزام على
خصرها التحيل، فتحت القرية

تعقيما. يزيد، يزيد هَبَط السِّلعة... زوز كيلو

كم من مرّة قال "شعيب" مازحاً: مخارق، زوز كريسطال وبرّاد تاي
أمنيّي أن يسجّل دكاني ضمن التراث
العالمي... ولما لا ؟ فكّم من شاب

جلس على سدته وافتش حصيره صار
اليوم مهندسا أو طبيباً أو معلّماً أو
محامياً وفيهم من غادر الوطن وتجنّس...

وله في نشاط دكانه تقاليد عريقة
دأب عليها منذ أن ورثه عن جدّه فهو
يقدم على فتحه بداية شهر رجب

ويتواصل نشاطه حتى أواخر شهر ذي
الحجة ويظلّ خلال هذه الفترة المقصد
الوحيد لسكان القرية شبّاباً وشيوخاً
وكهولاً.

أمّا في ما تبقى من أشهر السنة فإنّه
يخصّصه لبيع لوازم التنفّس من أجود
أنواع حبّ الصنوبر وأنقى الزيوت
وأحرّ التوابل.

بعث فيها النور شعوراً بالدفء
فجلست في منخفض ليس بعيداً عن
الكوخ وراحت تسترق السمع.

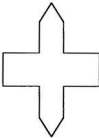
حبيب السلعة يا سي "شعيب" ، اربعة
طراح رونده وبالعجين وكّي يحبّ

تري كم هم سعداء !
يزي يا "قيس" خلينا نتحدثو في حاجة
فيها فايده

تفرّجتو في الأخبار... بخلي محالم...
ملأ سلاحات يكرّرو فيها
قتلك بالحرام ادمر الدنيا بكلها...

ترفس في حلاب مقعور، قلّك صدام
ردمها في المظالم وثمة سلاحات
حطها في قراطس صغيرة كيما قزازط
النفه وخملها في وذين الجمال
والكلاب.

يتبع



ملتقى الإبداع الأدبي بزغوان :

الدورة الخامسة عشرة

متابعة : أبو رسلان

المكان : دار الثقافة بزغوان والأيام: 24-25-26 مارس 2005 ، في هذين الإطارين يلتئم شمل الأدباء الشباب على غرار ملتقيات أخرى... شعراء وقصاصين ونقادا وضيوفها من كامل أرجاء الجمهورية ديدغم في ذلك الإحتفاء بالكلمة المبدعة والأدب الحي بمواجهت الواقع و تطلعات المستقبل، وقد بدا جليا أن الجهد المبذول لدعم حضور التظاهرة في المشهد الثقافي الجهوي و الوطني واحتضان الأقلام الواعدة والمتألقة لم ينقطع منذ الدورة الأولى لأيام الإبداع الأدبي بزغوان وما وصول هذه التظاهرة إلى سنتها الخامسة عشرة إلا إصرار صادق على الإرتقاء بالعمل الفكري والأدبي من لدن المندوبية الجهوية للثقافة والمحافظة على التراث بزغوان واللجنة الثقافية المحلية بالمكان، برعاية السلط الجهوية وعلى رأسها السيدة والية زغوان والسيد معتمد زغوان وكل الإطارات الإدارية والسياسية المساندة للعمل الثقافي بالجهة بما فيه من دفع لمسيرة التميز والإشعاع للربوع التي احتضنت منذ عقود شاعر الخضراء أبو القاسم الشابي وأهمته أجمل قصائده، ولا تزال

زغوان كعادتها قبله لعشاق الكلمة، وفرسان الشعر، وربابنة القصة، فيمنح الملتقى دفءه، وعطفه الدوري لمن رام الإبداع وقدم من أجله.

إذن جاؤوا لزغوان، لربى الإبداع والإمتاع، والأمل دافق بين جوانحهم ليسمعوا أصواتهم واختلاجات أقلامهم في منبر يحضره أهل الثقافة والفن، ولقد التمع اللقاء بإستضافة ثلة نيرة من الأدباء ممن رسخت أقدامهم وأقلامهم في دنيا الكتابة، ونذكر من بينهم الأساتذة : عبد الرحمان مجيد الربيعي، كمال عمران، نور الدين صمود، مصطفى المدايني، يوسف البحري، منير الوسلاقي، صبري بن حسن، شاكر عبيد والشعراء : محمد الغزي، جمال الصليحي، عادل الطرابلسي، محجوب الطرابلسي، جميلة الماجري، بشرى المحوي، سلوى الفندري... الخ ولقد فتح المجال في غير مرة للحوار والنقاش في مشاغل الإبداع التونسي الحديث والتحديات الملقاة على عاتق المبدعين والنقاد خدمة للأدب التونسي، وترسيخا للشخصية التونسية المتأصلة في ينابيعها، المتفتحة على الأثر، ولقد طرح هذا من زاوية التراثي والحداثي في المشهد الأدبي المغاربي المعاصر ولقد اختير أدب المسعدي نموذجا ترجمانا ملموسا لبلادنا التي تكرم مبدعيها وتحتفي بأهل الثقافة ممن حملوا لواء الرقي بالفكر وأصلوا الكيان عبر المساهمة في بناء الحضارة، وهي المداخل القيمة التي ألقاها الدكتور كمال عمران وتجاوب معها الحاضرون بالنقاش والآراء القيمة التي أثرت الجلسة، ولقد كانت للورشات النقدية في الشعر والقصة التي سهرت إدارة دار الثقافة واللجنة الثقافية بزغوان- التي ننوه بمجهود كل من السيد فتحي منصور مدير الدار، والصادق المتميز علي راشد رئيس اللجنة- لتجعل من الورشات مغبرا لمعالجة نصوص المشاركين وتعهدا بالنقد البناء

وإسداء النصيحة من فيض التجربة الأدبية للمشرفين على هاتين الورشتين، ولقد خلصت لجان النظر في هذه النصوص إلى جملة من الملاحظات أهمها التطور البارز في أدب الشباب من حيث المضامين وتميز بعض النصوص والأصوات في القصة والشعر، وحاجة البعض الآخر إلى مزيد التمرس باللهجة الأدبية قراءة وكتابة، وإطلاعا على أمهات التجارب الإبداعية من حيث الأصول والروافد من جميع أصقاع الأرض على سبيل الإثراء بما فيها من نفائس، واستفادة من هذه النتاجات حتى تحتك التجارب وتتمكن من صياغة النص الذي نريده ونحلم به. فالأيام كما كانت ولا تزال رافدا من روافد الثقافة في بلادنا نشدّ على الأيادي التي عملت بما أتيح لها من إمكانيات لإشاعة الفرح والنجاح بين المشاركين والضيوف والجمهور الوالعة بالأدب، ولا مناص لنا من توجيه تحية الإكبار للسيد محمد نجيب بالضيافي المندوب الجهوي للثقافة بزرغوان وكل العاملين من حوله على الحرص الكبير والعناية الثقافية بالتظاهرة في أدق تفاصيلها، حتى تظل الأيام على وعدّها الدائم وعناقها للفعل الثقافي والفكري، ومنارة يجاذب فيها المبدعون أطراف التجربة، ويتناقل الأدباء شعلة الكلمة التي لن تحترق، وللجميع نقول شكرا، ونتمنى التوفيق في قادم الدورات...

